أحمد إبراهيم مصلع

بين عالمين



دار ليلى
كيان كورب

بين عالمين

رواية

أحمد إبراهيم مصلح

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

الكتاب:
بين عالمين
المؤلف:
أحمد إبراهيم مصلح
رقم الإيداع:
2015/ 19289
***
الغلاف:
محمد محمود
***
الإشراف العام:
محمد سامي
***

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11
هاتف: 33370042(02)(002) ؛ 23885295(012)(002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com **الموقع الرسمي:** www.darlila.com

كيان كورب
للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

أحمد إبراهيم مصلح

بين عالمين



* المؤلف *

أحمد إبراهيم؛ من مواليد القاهرة 1980 م، خريج كلية الهندسة جامعة عين شمس ويعمل بإحدى المكاتب الاستشارية.

الموقع الخاص بالكاتب :

www.ahmedmosleh.com

البريد الإلكتروني :

info@ahmedmosleh.com

الصفحة الرسمية :

www.facebook.com/Ahmed.Ibrahim.Mosleh

* عن الرواية *

بعد أن قرأت الرواية هناك بعض الأمور التي يجب إلقاء الضوء عليها؛

كل ما ذكر عن تيخوانا حقيقي، ومستشفى **Hope 4 Cancer** موجودة هناك بالفعل وكل ما ذكر حولها حقيقي تماما.

جميع الأماكن التي ذكرت بالرواية أماكن حقيقية.

إلى جودي..

ربما لن تتمكني أبدًا من قراءة هذه الرواية..

ولكنني ما كتبتها إلاّ من أجلك..



الفصل الأول

01

عبرت بوابة السفر بالمطار لتلحق بطائرتها العائدة بها إلى وطنها، وما أن عبرت حتى التفتت إليه وأشارت إليه إشارة وداع سريعة وارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة حزينة.

سارعت إلى الموظف لإنهاء إجراءات السفر حيث إن الوقت كان ضيقاً.

صحيح أنها وصلت المطار منذ ما يزيد عن الساعة ولكن الوقت مر بسرعة تفوق سرعة الطائرة التي تنتظرها، فقد كانت تلك لحظاتها الأخيرة معه قبل أن تعود إلى بلدها مبتعدة عنه آلاف الأميال.

كان هو يراقبها من الخارج وهيَ تُنهي إجراءات السفر والألم يعتصر قلبه.

أخذ يراقبها حتى اختفت عن ناظريه وفى اللحظة التي اختفت فيها شعر بألمٍ حادٍ في صدره جعله يتأوه بصوت مسموعٍ جعل صديقه الواقف إلى جواره يلتفت إليه ويسأله: هل أنت بخير؟

نظر إليه وهو لا يكاد يراه فقد غامت عيناه تمامًا وقال بخفوتٍ وبصوتٍ متحشرجٍ: في اللحظة التي اختفت فيها شعرت بقوة أننى لن أراها

مجددًا.

قاد صديقه السيارة مسرعًا مستغلاً عدم وجود سيارات أخرى في الطريق في هذا الوقت حيث الساعة تقترب من الخامسة صباحًا بينما كان هو جالسًا إلى جواره وعقله في مكان آخر.

هل هذه هيَ النهاية؟ ألن أراها مجددًا؟ هل كُتب علينا فراق أبدي؟ هكذا كان يفكر

نظر إلى ساعته فوجدها تشير إلى الخامسة تمامًا، طائرتها تتحرك الآن آخذة معها جزءًا كبيرًا من قلبه.

في تلك اللحظة بدأت الطائرة تتحرك بالفعل على ممر الإقلاع.

نظرت من الشباك المجاور لها حيث الظلام لا يزال مسيطرًا على الأجواء وتنهدت بقوة مما جعل الراكب المجاور لها يسألها: أتتوترين من الإقلاع؟

لم تجبه ونظرت من الشباك مرة أخرى بلهفة كأنها سوف تراه واقفًا هناك في الظلام يشير إليها ليودعها وداعًا أخيرًا

" لم يكن وداعًا كما ينبغي "

قالها ناظرًا بشرود إلى الطريق الخالي تمامًا والضوء يصارع فلول الظلام ليعلن مولد فجرٍ جديدٍ ليومٍ جديدٍ.

" لم يكن وداعًا كما ينبغي "

قالتها وهيَ تراقب الشمس في محاولتها الدؤبة للارتفاع لتبديد الظلام.

يا ليت ضوء الشمس يستطيع إنارة ظلام الفراق الذي ملأ القلب، هكذا فكرا وهما يبتعدان كلٌّ في طريق.

* * *

02

أعدَ حازم كوب القهوة الصباحي، وأشعل سيجارته الثانية لهذا اليوم وأخذ يرتشف القهوة بتلذذٍ مسترجعًا أحداث الشهور الستة الأخيرة.

رُغمًا عن الأحداث الكثيرة التى تلت لحظة الرحيل، لكن تلك اللحظة طغت على تفكيره بشكل مبالغٍ فيه.

كانت تلك اللحظة وسط باقي اللحظات مثل وجهٍ مألوفٍ وسط وجوهٍ مجهولةٍ.

أزاح أحداث تلك اللحظةِ جانبًا، وأخذ يفكر في الأحداث اللاحقة لها، مستعرضًا بهدوءٍ ولأول مرة المعطيات التي أدت إلى النتيجة المحتومة التي ظل طوال شهرين يعاني منها متقلبًا ما بين الاكتئاب والرجاء.

كان الفراق محتومًا، وما حدث طوال الأربعة أشهر التي تلت لحظة الرحيل لم يكن سوى مماطلة سخيفة للفرقة التي حدثت بالفعل يوم الرحيل.

صحيحٌ أنها اختفت فجأةً ودون إبداء أسباب

صحيح أنها اختفت فجأة ودون وداعٍ يليق بما كان بينهما

ولكنه الآن يفهم

لقد توصلت إلى النتيجة المحتومة واستوعبتها قبل أن يفعل هو، ولم يعد هناك داع للكلام والتوضيح والنقاش.

تعاملت هيَ بواقعية بينما كان هو لا يزال مسافرًا إلى أرض الأحلام

عندما يفكر الآن بهدوء يعرف أنها كانت على صواب، وأن الفراق كان محتومًا عاجلاً أم آجلاً، وأنَّ أفضل فراق هو الذي يحدث دون لحظات وداع.

إن العلاقة بينهما أجمل من أن يشوبها لحظات وداع أو نقاش حول جدوى الاستمرار من عدمه.

كان كلٌّ منهما يعيش في بلد تبتعد عن الأُخرى آلاف الأميال. كانت هي مستعدة للارتباط بينما لم يكن هو مستعدًا لذلك ولن يكون مستعدًا قبل وقتٍ طويلٍ. أطول مما يحتملان.

ولهذا كان الفراق محتومًا..

* * *

03

سار في الشوارع التي جمعتهما سويا يلتمس ذكراها

هنا تمشيا متشابكَي الأيدي

هنا جلسا يتبادلان الحديث ويضحكان

هنا اختلسا قبلة كجائع يختلس لقمة

كان حضورها طاغيًا في هذه الأماكن، وكم كان يشتهي حضورها

ها هيَ أصبحت ذكرى ولكنها ذكرى جميلة يرفض أن يفقدها

كان يقتنص ذكراها في كل شيء ويحبسها داخل مكان خاص داخل ثنايا عقله، لم يكن يريد أن يفقد أي ذكرى من هذا الحلم الذي لم يستمر طويلاً.

شعر بالتعب فجلس على إحدى المقاهي المنتشرة في المكان، ومع رشفات القهوة المتتالية أخذ يفكر؛ وماذا بعد؟

كان يعلم جيدًا أنه لا يزال غارقًا في حالة سيئة من الحزن والغضب. كان جرحه لا يزال عميقًا ولا يزال يؤلمه، وهو يعرف أن هذا ليس الوقت المناسب لاتخاذ آي قرارات لأنها غالبًا ستكون قرارات سيئة وخاطئة وسيتحمل نتائجها لفترة طويلة في المستقبل.

لذا بدلاً من التفكير في المستقبل، عاد بفكره مرة أخرى إلى الماضي.

تذكر كيف التقيا

تذكر الكم المبالغ فيه من الصدف التي جمعتهم

كان الأمر باديًا أن يد القدر قد تدخلت ليلتقيا ويقعا في الحب

ما لم يضعه في الحسبان أن تتدخل يد القدر مرة أخرى ليفترقا.

فوجيء بأحدهم يجلس معه على الطاولة دون استئذان، كان هذا الموقف يحدث معه من حين إلى آخر فلم يعيره انتباهًا.

عاد إلى التفكيرْ مجددًا؛ ما الشيء الذي أحتاج إلى فعله الآن؟

" تحتاج إلى التوقف عن التفكير قليلاً "

قالها الرجل الجالس إلى جواره بهدوء ضاغطًا على الكلمات.

التفت حازم إليه بحدة ليجده ينظر أمامه بهدوء.

" أتتحدث معي " قالها حازم بلهجة غير ودودة

" وهل هناك أحد غيرك يجلس بالجوار؟ "

قالها الغريب محولاً عينيه إلى حازم الذي شعر بألفة غير عادية في عيني هذا الغريب جعله يقول بلهجة أكثر هدوءًا:

" هل أعرفك؟ "

" أنت تظن أنك تعرفني جيدًا ولكنك تجهل عني أكثر بكثير مما تعرف، بينما أعرفك أنا إلى حد بعيد "

" وكيف هذا؟ " قالها حازم بلهجة ملولة

" سأخبرك لاحقًا عندما تكون مستعدًا "

قام حازم تاركًا الغريب جالسًا وقال " شكرًا، لا أريد أن أعرف "

وغادر في عجالة.

وقبل أن يبتعد عن المقهى أراد أن يختلس نظرة أخيرة إلى هذا الغريب ولكنه لم يكن هناك.

* * *

04

في تلك الليلة لم يستطع حازم النوم بسهولة.

بالرغم من أنه كان معتادًا على الأرق خاصة في الفترة الأخيرة، إلاّ أنّ الأرق في تلك الليلة كان أسوأ.

ظل طويلاً يتقلب على سريره، طاردًا الأفكار التي تملأ رأسه واحدة تلو الأخرى، محاولاً النوم بجدية، ولكن الأفكار ظلت تلاحقه وتفرض سيطرتها عليه خاصةً موقفه الأخير مع الرجل الغريب الذي تطفل على طاولته بالمقهى.

كان هناك العديد من النقاط التي تثيره حول هذا الشخص؛

عندما تحدث هذا الشخص ليخبره أنه يحتاج إلى التوقف عن التفكير — صحيح أنه كان باديًا عليه الاستغراق في التفكير — ولكنه في تلك اللحظة بالذات كان يتساءل عما يحتاج إلى فعله، فبدا كما لو كان الرجل يقرأ أفكاره.

النقطة الثانية التي كانت تثيره بشكل كبير هو شعوره بألفة غير

عادية في عيني الرجل، حاول جاهدًا تذكر عيني الرجل أو ملامحه ولكنه فشل تمامًا، فدائمًا ما كانت ذاكرته تخونه في تذكر وجوه الغرباء.

استمرت الأفكار تدور في رأسه إلى أن غلبه النوم في النهاية؛

" كان يجلس على كرسي مريح ومسترخيا بشكل كامل وعيناه مغلقتان تماما، والغريب أنه كان يرى جيدا ما يوجد أمامه من تفاصيل، وأمامه مباشرة كان هناك كرسي خشبي مرتفع يجلس فوقه الرجل الغريب متأهبا كشخص على وشك إلقاء محاضرة وقدماه لا تكاد تصلان إلى منتصف أرجل الكرسي، فتح حازم فمه ليتكلم ولكنه لم يستطع وكأنه لا يمتلك فما من الأساس، نظر له الغريب نظرة انتصار وقال له لقد تكلمت كثيرا في السابق وحان الوقت الآن لتستمع إليّ "

" في البداية يجب أن أعرفك بنفسى، أنا عقلك، لا تتعجب فأنا فعلاً عقلك، انظر اليّ مليًا، ماذا ترى؟ أنا أنت، يمكنك أن تعتبرنى صوت عقلك الخاص، وأنا هنا لمساعدتك، لقد حاولتُ مرارًا التحدث إليك ولكن صوتي ذهب وسط زحام أفكارك التي لا تنتهي، فكان لزامًا عليّ الظهور عنوةً لإبلاغك رسائلي الهامة بعد أن مللتُ تجاهلك إياها، أنت دائمًا... "

– حازم.. حازم، استيقظ.

فتح حازم عينيه بصعوبة ونظر إلى أخيه الأصغر الذي كان ينظر إليه

نظرة قلقة وقال له بصوت مكتوم غاضب: - ماذا هناك؟

- لقد كنت تصدر أصواتًا غريبة وكأنك تختنق فشعرتُ بالقلق.

- شكرًا، كم الساعة الآن؟

- إنها العاشرة، ألن تذهب إلى الكلية اليوم؟

- نعم، لن أذهب.

- حسنًا أتريد شيئًا قبل ذهابي؟

- لا.

غادر كريم الغرفة تاركًا حازمًا غارقًا في عرقه.. وفي أفكاره..

* * *

05

غادر حازم فراشه شاعرًا بالدوار، وأفكاره تدور حول حلمه الأخير، لكنه أزاح تلك الأفكار جانبًا وبدأ في طقوسه الصباحية المعتادة.

أعد كوب القهوة الصباحي وجلس على كرسيه المفضل وأشعل سيجارة وبدأ يفكر بهدوء في حلمه الغريب، الأمرُ شديدُ الوضوح لقد كان يفكر كثيرًا في الأمر فكان طبيعيًا أن يحلم بحلم مماثل لما رآه.

الاحتمال الآخر هو أنه قد فقد عقله أخيرًا، وهو الآن يعاني حالة من الفصام أو كما يقولون شيزوفرينيا، أو أي حالة أخرى لم يسمع عنها من قبل.

بدا له الجنون شيئًا لا بأس به، ولكن هل يـشعر المجنـون بالتعاسـة؟ هو حقًا لا يعلم.

لم يقابل مجنونًا من قبل ليخبره بحقيقة مشاعره.

شعر أنه الآن في مفترق طرق وعليه أن يختار الطريق الذي يسلكه.

إما أن يستمر في حالة الجنون هذه، وإما أن يشغل نفـسه ويتوقـف عـن التفكير في ما ضاع ويتوقف عن البكاء على اللبن المسكوب.

لم يكن لديه الشغف لفعل أي شـيء الآن، وحقـا لم يعلـم لمـاذا لم يقـدم على الانتحار حتى الآن، ربما يبدو له الانتحارُ سخيفًا وهروبًا مـن العـذاب والألم. العذاب والألم اللذين ألفهما تمامًا وأصبحا رفيقي دربه.

فكَّر مليًا في الحالة التي وصل إليها ورأى أنه لن يخرج من تلك الحالـة ما لم يخرج من العزلة التى فرضها على نفسه مؤخرًا.

لو استمرت حياته على هذا المنوال فبالتأكيد سيصيبه الجنـون، وربمـا كان موضوع هذا الرجل الغريب فعلاً تحذير له من عقله الباطن حتـى ينقـذه من الجنون.

" يجب أن أعود إلي الحياة التى تركتها مؤْثرًا العزلة، يجـب أن أهـتم بالدراسة التي أهملتها. إنها سنتى الأخيرة بالدراسة ولقـد أهـدرت بالفعـل العديد من السنوات ولا داعى لإهدار المزيد. مجرد شهور يجب أن أتحملـها

لأحصل على بكالوريوس الهندسة أخيرًا. حقًا لم تكن الهندسة يومًا من طموحاتي ولكنها مهنة لا بأس بها في هذا البلد، بالإضافة إلي أنني لم أعرف يومًا ماذا أريد أن أفعل، فلأترك دورة الحياة تستمر وأراقب ما يحدث وأتأقلم وأتعايش مع الواقع ولتذهب الأحلام إلى الجحيم ولو مؤقتًا "

هكذا قال لنفسه وهو يرتدي ملابسه ويستعد للخروج..

* * *

06

في الشهور التي تلت قراره الأخير اندمج حازم في الحياة بقدر استطاعته.

انتظم في الدراسة إلى حدٍ ما، وكان يقضي وقته ما بين الدراسة والجلوس مع أصدقائه على المقاهي بحيث لا يترك لنفسه فرصة للانفراد بنفسه إلا لمذاكرة دروسه.

وما أن انتهت فترة الاختبارات التي كان أداؤه فيها مقبولاً، حتى اندمج مع زملائه في مشروع التخرج اندماجًا لم يترك له وقتًا لممارسة أو التفكير في أي شيءٍ آخر.

وأخيرًا جاء اليوم المنتظر.. يوم مناقشة مشروع التخرج.

هو وزملاؤه يختالون في البدل الأنيقة ويمزحون للسيطرة على توتر تلك اللحظة المهمة في حياة كلٍ منهم.

وجاءت المناقشة مخيبة لآمال حازم إلى حد بعيد، فالموضوع مبتذل وتمثيلي بشكل مكشوف وتحصيل حاصل ليحصل الجميع على تقدير امتياز في المشروع كما هو معروف ومتوقع.

ولكنه لم يدع ذلك يضيع عليه سعادة اللحظة التي انتهى فيها رسميًا من دراسته الأكاديمية.

بعدها بأيام قليلة جاءت النتيجة لتعلن نجاحه وحصوله رسميًا على لقب مهندس، وبدء مرحلة جديدة من حياته.

وسط مئات الخريجين جلس حازم ينتظر إعلان الإرجاء في منطقة التجنيد، وظل يبتهل إلى الله ألا يصيبه الدور ويحصل على التأجيل ليتمكن أخيرًا من العمل.

كان في الخامسة والعشرين من عمره ولازال عبئًا على والده الذي يعمل كمدير حسابات بإحدى القطاعات الحكومية.

صحيح أن والده لم يشك يومًا من ضيق الحال ولكنه يشعر بالعار كونه وصل إلي هذا العمر ولايزال يعتمد ماديًا على والده المسن الذي تجاوز الخمسين منذ أربعة سنوات خلت، ولايزال كريم أخوه الأصغر في سنته الثانية في الجامعة حيث يدرس في كلية العلوم.

أفاق من شروده على الضابط الذي ينادي على السنوات المؤجلة ليبتسم

رغمًا عنه عند سماع الشهر الذي ولد فيه واحدًا من الشهور المؤجلة.

تنفس الصُّعداء وهو يغادر منطقة التجنيد شاعرًا فجأة بحمل ثقيل من المسئولية يهبط على كتفيه، فالآن لم يعد هناك أي شيء يمنعه من العمل.

الآن هو يحمل لقب عاطل رسميًا وسيظل يحمله إلى أن يوفق في الحصول على عمل.

* * *

07

طوال ستة أشهر ظل حازم يبحث عن عمل دون جدوى.

كان يبعث سيرته الذاتية الخاوية من الخبرات إلى جميع الشركات التي تضع إعلانات تطلب مهندسين في تخصصه، وكان يذهب إلى مقابلات عمل وحيدًا أحيانًا ومع زملاءَ له أحيانًا، ولم يسفر كل هذا عن شيء.

كان أصحاب العمل يتعاملون مع حديثي التخرج بطريقة هذا هو المتاح ويكفي أنك ستتعلم معنا وتكتسب الخبرة التي لا تمتلكها.

كانت تلك الفترة من أسوأ الفترات التي مرت به، كان لديه شعور قوى بالفشل والإحباط وأنه عالة على والده الذي بدأ بالفعل يشعر بالضيق ويظن أن ابنه لا يبحث عن عمل بطريقة جدية، الأمر الذي كان يزيد من تعاسة حازم، ويجعل طلب المال من أبيه أمرًا في غاية الصعوبة.

ما زاد الأمر سوءًا، أنه كان لديه الآن الكثير من الوقت الذي كان

يقضيه وحيدًا مجبرًا، فمن ناحية هو لا يفعل شيئًا تقريبًا ولا يملك نقودًا ليخرج مع أصدقائه أو ليجلس على المقهى أو حتى ليبتاع السجائر، وكان يختلس السجائر من أبيه دون علمه.

عاوده الاكتئاب بقوة، وبدأ يرى حياته سلسلة من الفشل والخيارات الخاطئة، وسيطر الغضب عليه، الغضب من نفسه ومن الظروف ومن الحياة بشكل عام.

في تلك الفترة كان يفكر كثيرًا في حبه القديم، الحب الذي لم يستطع الشفاء منه فدفنه في مكان مظلم من عقله ولكنه كان يخرج للنور على فترات رغمًا عنه ليسيطر عليه تمامًا مؤخرًا.

كان حانقًا جدًا على نفسه، وعلى الظروف المحيطة به، شعوره الآن يقيني بأنه السبب في انتهاء تلك العلاقة، فشله لم يمكّنه من الاحتفاظ بالحب الحقيقي الوحيد في حياته المزرية.

كانت تنقصه الشجاعة والإقدام، و كان يحتاج أن يكون أكثر حسمًا وأقل خجلاً.

كان يجلس وحيدًا في غرفته يستمتع باكتئابه وتوبيخ ذاته عندما رن جرس تليفونه المحمول، نظر إلى الشاشة فوجد رقمًا مجهولاً، أجاب بقنوط واضح:

- نعم..

- مهندس / حازم حسن، هكذا جاءه صوت أنثوي من الجانب الآخر.

- نعم أنا هوَ.

- نحن الشركة العربية للعمارة الحديثة ولديك مقابلة عمل الخميس القادم الساعة التاسعة صباحًا.

لم يشعره هذا بالحماس فقد تكرر الأمر مرارًا في الشهور الأخيرة ولم يحدث شيء، فقال بلهجة باردة:

- حسنًا، ما هو العنوان؟

دوَن العنوان بآلية على ورقة وجدها بالجوار، وأغلق الهاتف.

* * *

08

كان طارق يشعر بالإرهاق عندما حدثه حازم على تليفونه ومع ذلك رحَّب بمقابلة صديقه الحميم فور انتهائه من العمل.

صحيح أن مقابلاته مع حازم في الفترة الأخيرة تتركه في حالة سيئة هو في غنى عنها ولكنه صديقه الحميم على أي حال.

كان يعيش وحيدًا بعد موت والديه وكانت مقابلاته مع حازم هي عزاؤه الوحيد في وحدته التي أُجبر عليها إجبارًا، تلك اللقاءات التي كانت

تعني له الكثير في السابق فدائمًا ما كان يعتبر حازمًا مثل أخ له لم تلده أمه ودائمًا ما كان يعجبه تفكيره المرتب وذكاؤه الحاد وسخريته الدائمة وجدعنته الأصيلة.

كل هذا تغيّر في الفترة الأخيرة، منذ سفر تلك الفتاة وحازم لم يعد كما كان، أصبح شخصًا كئيبًا سريع الغضب، حاد الطباع.

دائمًا ما كان الحديث مع حازم يعطيه دفعة إيجابية تساعده على التعاطي مع الحياة ومشاكلها التي لا تنتهي، ولكن كل هذا كان في السابق.

لم يكن طارق سعيدًا في عمله الذي يعمل به منذ عام، كان عمله بعيدًا كل البعد عن تخصصه الدراسي حيث درس هندسة الاتصالات، وبعد رحلة بحث عن عمل استمرت لما يقرب من العام نجح أخيرًا في الحصول على وظيفة بالشركة المصرية للاتصالات.

كانت سعادته بالوظيفة كبيرة، وبطموحات كبيرة بدأ عمله ليصطدم بالواقع ويكتشف أن عمله بعيدٌ كل البعد عن الاتصالات، حيث جاء تعيينه في إدارة التخطيط ليعمل تحت إدارة مهندس مساحة.

نصحه حازم مرارًا بترك هذه الوظيفة والبحث عن عمل حقيقي بإحدى شركات القطاع الخاص المتخصصة في الاتصالات، وكان يلومه بشكل دوري على قبوله لهذا العمل الهزيل الذي لا يتناسب مع إمكانياته وطموحه.

كان يعلم جيدًا أن حازمًا على حق، ولكن ليس بيده شيء فشركات القطاع الخاص لا تنتظره باشتياق وترحاب، وقد حاول كثيرًا بالفعل وتقدم إلى العديد من تلك الشركات ولم يتم قبوله.

أنهى طارق عمله وذهب إلى المقهى لمقابلة حازم الذي استقبله بابتسامة لم يرها منذ زمن بعيد، صافحه وجلس إلى جواره قائلاً:

– لم أشاهدك تبتسم منذ وقت بعيد.

– لقد حصلت على عمل أخيرًا.

– حقًا! إنه خبر رائع، أين؟

– في شركة مقاولات، بإحدى مشروعاتها بالساحل الشمالي.

– ومتى ستسافر؟

– بعد غد فجرًا، لقد جئتُ لتوديعك.

شعر طارق بغصة للفراق المرتقب ولكنه كان سعيدًا من أجل صديقه، سأله:

– كيف ستكون الإجازات؟

– أسبوعًا في الشهر، سأحصل على أسبوع أجازة بعد 23 يوم عمل.

– أتمنى لك التوفيق، وعسى أن يكون هذا العمل سببًا في خروجك من الحالة السيئة التى تعيش فيها.

- أتمنى هذا.

تبادلا الحديث لبعض الوقت، ثم ودَّعا بعضهما البعض.

انطلق طارق إلى بيته بينما قام حازم بالتسكع في الشوارع كأنه يودعها هيَ الأخرى، وبعد عدة ساعات من السير وصل أخيرًا إلى منزله حيث وجد أخاه كريمًا في انتظاره.

جلسا يتبادلان الحديث بعض الوقت إلى أن غلبهما النعاس.

اليوم التالى فضَّل حازم أن يقضيه مع أبيه وأخيه، وفى المساء أعد حقيبته وتمدد على فراشه حتى حان وقت رحيله فقام وارتدى ملابسه في هدوء وانطلق..

* * *

09

وقف حازم يتأمل الأمواج القوية وهي تصطدم برمال الشاطيء.

كان شهر مارس قد انتصف ولا زال البرد يسيطر على الأجواء خاصة في تلك المنطقة على شاطيء البحر المتوسط.

أسبوعان قد مرا عليه منذ أن بدأ العمل، وكان يقف كل يوم في نفس المكان يراقب الغروب والأمواج، كان في تلك اللحظة يغسل روحه من تعب اليوم كله.

شعر بدوار خفيف، فأغمض عينيه واستند على السور أمامه وقال

لنفسه يجب أن آكل بشكل أفضل وإلا فقدت طاقتي كلها.

ظل مغمِضًا عينيه لبعض الوقت، ساندًا رأسه بين راحتيه إلى أن شعر بأن حالته أصبحت أفضل فاعتدل وفتح عينيه بهدوء.

في البداية لم ير شيئًا تقريبًا، كان الظلام قد حل، وتدريجيًا بدأ يرى الأمواج وهي تضرب رمال الشاطئ، ولكنه شعر بأن هناك أمرًا خاطئًا يحدث حوله.

ما هذا المكان؟ فكّر في هلع.

قبل أن يغمض عينيه كان واقفًا على رصيف أسمنتي ويستند إلى سور حجرى يفصله عن رمال الشاطيء، ولكن المكان الذي يقف فيه الآن مختلف.. مختلف تمامًا

كان المكان عبارة عن ممر خشبي وأمامه سور خشبى يفصله عن الشاطئ والأمواج أقرب كثيرًا من السابق.

نظر حوله في دهشة ليجد أن الممر يمتد في الاتجاهين لمسافة طويلة ويوجد خلفه سلم عريض به أماكن للجلوس ويصعد مسافة كبيرة إلى الأعلى وفي نهايته يبدو أنه شارع ما.

صعد حازم السلم شاعرًا بالهلع، ما هذا المكان وكيف جئتُ إلى هنا؟

فى نهاية السلم وجد شارعًا بالفعل، ولكن هذا زاده هلعًا، فهناك

علامة باسم الشارع الذي كان Av Del Pacifico وأمام عينيه وجد مطعمًا يسمى Fiesta Grill وإلى جوار السلم الذي صعده توًا متجر يسمى 7 eleven

كان يلتفت حوله في هيستريا ليكتشف للمرة الأولى أن الملابس التي يرتديها ليست ملابسه، نظر إلى يديه في ذهول فهي لا تبدو مثل يديه على الأطلاق.

تقهقر بهلع إلى أن اصطدم بحائط الماركت وصرخ: أين أنا؟ من أنا؟

حاول حازم السيطرة على نفسه قدر استطاعته.

وضع يده على صدره ليهدئ قليلاً من روعه.

تنفس بعمق، أغمض عينيه عدة ثواني ثم فتحهما.

شعر أنه أكثر هدوءًا.

اعتدل في وقفته وقال لنفسه " الآن فلنتصرف بهدوء وعقلانية "

" أولاً يجب أن أعرف أين أنا؛ المكان يطل على البحر. مهلاً الشارع يسمى الباسيفيكو

هذا ليس بحرًا إذن!

إنه المحيط الهادىء.

وواضح من طريقة كتابة الباسيفيكو بدلاً من الباسيفيك أن لغة المكان

هى الإسبانية، حسنًا الأمر الآن واضح، أنـا في مكـان مـا يطـل علـى المحـيط الهاديء ولغته هيَ الإسبانية.

إذن هذا المكان قد يكون المكسيك أو أيًّا من دول أمريكا الجنوبيـة المطلـة على المحيط الهاديء.

حسنًا، لم يتحسن الأمر، بل ازداد سوءًا.

كيف أكون في الساحل الشمالى بمـصر وأغمـض عـينيَّ وأفتحهمـا لأجـد نفسى على بعد آلاف الأميال؟! تساءل في حيرة.

ثانيا لماذا أشعر أنني لست أنا؟ "

كان هذا الأمر هو ما يشغله حقًا، كان هذا الأمر هو ما أثار فزعه، كـان يشعر بوجود محفظة نقود بجيبه الخلفى الأيمـن، وكـان هنـاك شـيء مـا في الجيب الداخلى للسترة التي يرتديها قد يكون هاتفًـا خلويًّـا، كـان يعـرف أنه عندما يفحص ما في جيوبه سـيعرف أشـياء كـثيرة يجهلـها الآن ولكنـه كان يشعر برهبة شديدة من هذه المعرفة.

كان يتحـرك لا إراديًّـا متـنقلاً في الـشارع وكـان قـد ابتعـد عـن المتجـر المجاور للسلم مسافة 100 متر تقريبًا عندما أفـاق مـن شـروده علـى صـوت أحدهم يقول بلغة إنجليزية وبلهجة أمريكية واضحة:

- وداعًا آدم، أراك غدًا.

نظر ناحية الصوت فوجد رجلاً ذا ملامح لاتينية، أسمر اللون، يبدو في الأربعين من عمره تقريبًا، وما أثار فزع حازم حقا أن هذا الرجل كان يتحدث إليه.

– أتتحدث إليّ؟! قالها حازم بلهجة أمريكية واضحة وبصوت أثار فزعه، فالصوت لم يكن صوته على الأطلاق.

وقبل أن يستغرق في التفكير في أمر الصوت الغريب ولهجته الأمريكية، باغته الرجل قائلاً:

– أنت تمزح، أليس كذلك؟

– لا، أنا حقًا لا أمزح، هل تعرف من أكون وماذا أفعل هنا؟

قالها حازم بلهجة جادة صادقة جعلت الرجل يغلق باب السيارة التي كان يستعد لركوبها ويذهب إليه ويقول بلهجة قلقة:

– أنت مستر برايس، آدم برايس وأنا د. توني الطبيب المعالج لابنتك جودي، تعال ندخل إلى المستشفى لألقي عليك نظرة.

ووضع يده على كتفه ليسنده في اللحظة الأخيرة قبل أن يقع مغشيًا عليه.

الفصل الثاني

01

أفاق آدم ليجد نفسه ممددًا على سرير صغير والرجل الذي قابله بالخارج يقف إلى جواره وينظر إليه نظرة مشجعة وإلى جواره تقف سيدة شقراء تبدو في الثلاثين من عمرها، كانت جميلة ولكن وجهها يبدو تعبًا والقلق باديا على عينيها الزرقاوين.

- كيف تشعر الآن أيها البطل؟ قالها دكتور توني بلهجة مرحة.

اقتربت منه السيدة ووضعت يدها على شعره وقالت بقلق واضح:

- هل أنت بخير، آدم؟

كان ينظر إليهما ببلاهة، ويتساءل بينه وبين نفسه عما يحدث، من هذين ومن هو آدم الذي يتحدثان عنه، وكيف جاء إلى هذا المكان، ولماذا يشعر أنه مختلف ولماذا ولماذا...

شعر بأن رأسه توشك على الانفجار فأمسك رأسه بكلتا يديه وهنا تذكر أن يده تبدو مختلفة وكذلك صوته، فأزاح يده ونظر إليهما وقال بصوت واهن:

- أريد مرآة، رجاءًا.

احتضنت السيدة رأسه بحنان وقالت: - ماذا بك يا عزيزي؟

قال بصوت أكثر تماسكًا:

- رجاءًا أريد مرآة.. الآن.

- حسنًا. قالها الرجل بصوت هاديء، سأحضر لك مرآة على الفور.

وغادر الغرفة ليعود بعد لحظات ومعه مرآة صغيرة.

أخذ آدم المرآة بلهفة أثارت دهشة الرجل والسيدة ونظر إلى انعكاس صورته فيها.

ظل يحدق إلى انعكاس وجهه بالمرآة والذهول يملأ وجهه وأخيرًا ألقى المرآة إلى جواره وقال:

- هل يمكنكم الآن إخباري عمًّا يحدث هنا بالتفصيل؟ وأريد أولاً أن أعرف من أنا ومن أنتم وأين نحن؟

كانت ملامح الدهشة والقلق والغضب بادية على وجه السيدة على عكس الدكتور توني الذي قال بهدوء:

- حسنا، سنخبرك بكل شيء ولكن عذرًا اسمح لى بالتحدث إلى السيدة / برايس دقائق ونعود.

ثم جذب السيدة بهدوء وغادرا الغرفة تاركين آدم وحده غارقًا في أفكاره...

* * *

02

كانت ليندا تشعر بالرعب وهي تمشي خلف دكتور توني الذي أغلق باب الغرفة بهدوء، الغرفة التى يرقد فيها زوجها بحالته الغريبة.

توقف دكتور توني فجأة والتفت إليها فبادرته قائلة:

– ما الذي حدث للتو؟ ماذا حدث لزوجي؟

– حقاً لا أعلم.. تبدو لي حالة فقدان ذاكرة ارتجاعية ولكني لست متأكدًا فهذا ليس تخصصي كما تعلمين.

– وما العمل الآن؟ قالتها والقلق بادي على وجهها.

– حاولي أن تتحلي بالهدوء الآن واذهبي إلى ابنتك في غرفتها، فلا يجب أن تتركيها وحيدة طويلاً وأنا سأعود إلى آدم وسأرى ما يمكنني فعله.

تركته وانصرفت عائدة إلى ابنتها وما أن دخلت عليها حتى بادرتها جودي غاضبة:

– أين كنت كل هذا الوقت وأين ذهب أبي؟

– آسفة حبيبتي، لقد شعر أبوك بالتعب وذهب ليستريح.

– هل عاد إلى الفندق؟

– لا يا حبيبتي، سوف يقضي الليلة هنا فكما تعلمين سوف نغادر في الصباح لنعود إلى منزلنا.

– ولماذا لا يقضي الليلة معنا هنا في الغرفة؟

– لا يستطيع فإدارة المستشفى لا تقبل هذا.

– حسنًا، ولكني غاضبة لأنه ذهب إلى غرفته دون أن يودعني ولن أتحدث إليه مجددًا.

– حسنًا حبيبتي، سنناقش هذا في الصباح والآن هيا ننام.

في هذه الأثناء، كان الدكتور أنطونيو قد عاد إلى آدم وقام بفحصه بهدوء. قاطعه آدم بتملل واضح:

– عما تبحث؟

– هل اصطدم رأسك بشيء ما؟

– لا أظن. قالها وهو يتحسس رأسه لا إراديًا.

– حسنًا، تناول هذا الدواء وحاول أن تنام، فأكثر ما تحتاج إليه الآن هو النوم، وفى الصباح ستكون أفضل.

أعطاه الدواء وأطفأ النور وغادر الغرفة ليقابل ليندا في طريقها إلى آدم فأوقفها قائلاً:

– إلى أين تذهبين؟ ولماذا تركتي جودي مجددًا؟

– لقد نامت، ماذا فعلتَ مع آدم؟

– لا شيء، لقد تركته ليستريح وسيكون أفضل في الصباح وسأكون

حاضرًا لتوديعكم قبل المغادرة، اذهبي الآن وحاولي الحصول على قسط من الراحة.

سار معها إلى غرفتها وتمنى لها ليلة سعيدة وغادر المستشفى أخيرًا..

* * *

03

بعد ليلة سيئة مرت كدهر كامل على ليندا، جاء الصباح أخيرًا مضيئًا ليلتها السيئة.

كانت تفكر طوال الليل في الحالة الغريبة التى يعانى منها زوجها.

كانت الضغوط كبيرة عليها فمنذ إصابة جودي بمرض السرطان منذ ما يقرب من العامين وهم يقضون معظم وقتهم في المستشفيات؛ ما بين علاج كيميائي وعلاج إشعاعي وبين يأس ورجاء وبعد أن وصلوا إلى طريق مسدودة وأخبرهم الأطباء بأنه لم يعد هناك أمل ولا شيء آخر يمكن فعله، توصل آدم عن طريق الصدفة إلى معرفة هذه المستشفى التي تستخدم طُرقًا أخرى لعلاج السرطان، طُرقًا غير العلاج الكيميائي والإشعاعي اللذين أضرا جودي أكثر مما نفعاها.

و بالفعل جاءوا من توسون – أريزونا حيث يعيشون منذ أن تزوجا منذ ما يقرب من الست سنوات إلى مدينة تيخوانا بالمكسيك لتجربة هذا العلاج الذي يمثل بالنسبة إليهما الأمل الأخير في الاحتفاظ بابنتهما الوحيدة.

كانوا بالفعل قد أنهوا المرحلة الأولى من العلاج خـلال الـشهر الـسابق، وكانت النتائج مبشرة إلى حد كبير وإن كانوا لم يضعوا آمالاً كبيرة خوفًا مـن الإحباط الذي ظل ملازمًا لهم طوال العامين السابقين.

والآن ماذا حدث لزوجها، هل انهار أخيرًا؟

لقد كان هو دائمًا مـن يبث الأمـل فيهمـا ويقـول دائمًـا وبكـل ثقـة أن جـودي ستـشفى وستـصبح أفـضل ليعوضـوا جميعًـا اللحظـات الـسيئة الـتي عاشوها في السابق.

نظرت إلى ابنتها النائمة مثل ملاك، كانت صلعاء تمامًا من أثـر العـلاج الكيميائي الأخير قبل أن يأتوا إلى هذه المستشفى ومع ذلك كانـت تبـدو مثـل ملاك نائم بملامحها الدقيقة والبريئة.

لقد عانت طويلاً وقضت طفولتها ما بين المستشفيات والعلاج المؤلم.

كانت جودي تحب أباها حبًا جماً ومتعلقـة بـه بـشدة، وكـان هـذا مـا يشغل بال ليندا ولا تعلم كيف ستتعامل مع حالة أبيها الغريبة.

تركتها نائمة وتأكدت من إحكام إغلاق حقائب السفر وخرجت لتطمئن على زوجها النائم في الأسفل في غرفة الطوارئ.

فوجئت به يجلس في غرفة الاستقبال ويبـدو تائهًـا تمامًـا وإلى جـواره يجلس دكتور أنطونيو يربت علـى كتفـه، أحـسا بوجودهـا فقامـا ونظـر آدم

إليها وقال بصوت متحشرجٍ حاول أن يجعله هادئًا قدر الإمكان:

- أعرف أن الوضع صعب عليك، وسنتحدث لاحقًا ولكني الآن أريد أن أرى جودي.

أخذته من يده وصعدت به إلى غرفة ابنتها، وما أن فتحت الباب وأضاءت الأنوار حتى فتحت جودي عينيها لتجد أبويها يقفان عند الباب، أدارت رأسها غاضبة من أبيها ولكنه عاجلها وحملها بين ذراعيه وقبلها وانفجرت دموعه غزيرة.

* * *

04

وقف آدم يراقب ما يحدث غير قادر على استيعاب الوضع.

كان واقفًا في الباحة الخلفية لإحدى المنازل وآلة جز الحشائش تصدر صوتًا عاليًا وشخص عاري الصدر في الباحة المجاورة يتحدث إليه بحميمية ليس هناك ما يبررها.

أخذ يبحث عن زر إيقاف الصوت المزعج لتلك الآلة ولكنه فشل فألقى بها بعيدًا بغضب واضح والتفت إلى جاره الغريب وقال بصوت عال:

- ماذا تقول؟ لم أسمع شيئًا.

- تبدو حانقًا يا صديقي، ألم تكن رحلة العلاج ناجحة؟

جعله السؤال يعود بذاكرته إلى رحلة العودة من المكسيك، بعد أن أصر على الصعود إلى غرفة ابنته، وكيف استقبلته حانقة لعدم توديعه لها في الليلة السابقة، كانت ملاكاً بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

كان مرتبكاً بشكل واضح، وكانت الأفكار والمشاعر تتصارع بشكل مؤلم داخل عقله؛

" هذا الملاك مصاب بالسرطان، هذا الملاك ذو الخمسة أعوام قضت ما يقرب من نصف عمرها في المستشفيات تتلقى علاجًا ينوء تحت وطأته البالغون " هكذا كان يفكر.

كانت جودي غاضبة منه جدًا وترفض حتى النظر تجاهه، ولكنه اقترب منها وحملها بين ذراعيه واحتضنها بحنان.

فوجيء بتجاوبها معه واحتضانها له هي أيضًا، كانت مشاعره في تلك اللحظة لا يمكن وصفها بالكلمات.

الكلمات تعجز عن وصف مقدار الحب والطمأنينة والحنان الذي غمرته بهم، أيُّ كلمات لوصف تلك المشاعر ستكون قاصرة ومبتذلة.

قاطع الرجل أفكاره المسترسلة قائلاً:

– آدم، هل أنت بخير؟

نظر إليه آدم نظرة خاوية وتمتم " أعذرني " وغادر إلى داخل المنزل

دون أن يترك له فرصة الرد.

دلف إلى غرفة المعيشة وألقى بنفسه على الأريكة وأخذ يفكر في حالته الغريبة، لقد سمع كثيرًا عن حالات فقدان الذاكرة ولكنه لم يسمع مطلقًا عن شخص فقد ذاكرته واستبدلها بذاكرة شخص آخر.

كان الموضوع برمته صعبًا بطريقة مبالغ فيها، كانت الحقائق التي ترويها له ليندا تزيد من اضطرابه، فحياته كآدم لا علاقة لها مطلقا بما يذكره عن حياته كحازم.

وجد مجموعة من الأوراق وقلمًا على المنضدة أمامه فأخذهم وبدأ في الكتابة..

قام بتقسيم الورقة إلى نصفين وبدأ يقارن بين ما عرفه عن آدم وحياته وبين ذكرياته كحازم.

كان هناك بعض النقاط تثيره بشكل خاص؛ اللغة والمكان والزمان.

حازم مصري يتحدث العربية وآدم أمريكي.

حازم يعيش في مصر ولم يسبق له السفر إلى الخارج، ولم يعرف بعد البلدان التي زارها آدم.

حازم كان في السادسة والعشرين من عمره وكانت لحظته الأخيرة كحازم في منتصف شهر مارس من عام 2006، بينما ما عرفه من ليندا أن

آدم يقترب من الثالثة والثلاثين وهم الآن في نهاية يناير من عام 2013

كان هذا يعني أنه وحازم في نفس العمر، ولكن الموضوع غريب بطريقة مرهقة.

تذكر أنه لم يخبر ليندا بعد أنه يحمل ذكريات شخص آخر، قرر أن يخبرها بكل شيء فور عودتها إلى المنزل حيث أخذت جودي وذهبت لشراء بعض الطلبات للمنزل كما أخبرته.

شعر بتحسن نوعًا ما لهذا القرار فاستلقى على الأريكة وأغمض عينيه وما لبث أن ذهب في سبات عميق.

* * *

05

كانت الأفكار تتزاحم داخل رأس ليندا بطريقة مرهقة للغاية.

أخبرت زوجها الذي لا يتذكر شيئًا أنها ستذهب لشراء طلبات للمنزل وذهبت لزيارة عائلتها وتركت ابنتها معهم على أن تأتي لاصطحابها في اليوم التالي.

أخبرت أمها قبل أن تنصرف أن آدم ليس على ما يرام ويحتاج إلى رعاية وهذا هو سبب تركها لجودي معهم وطلبت منها ألا تخبر أحدًا حتى ترى ما سوف يحدث.

انصرفت لتذهب إلى وجهتها الحقيقية وهيَ عيادة دكتور باركر

الطبيب النفسي الذي كان يتابعها في بداية مرض ابنتها، ولكن هذه المرة لم تأت من أجل نفسها بل من أجل زوجها.

كانت عيادة دكتور مارك باركر تقع في الدور السابع من المركز الطبي لجامعة أريزونا داخل الحرم الجامعي.

وصلت قبل موعدها بعشر دقائق مرت عليها كدهر كامل.

قابلها دكتور باركر بابتسامته الدائمة، كان في العقد السادس من عمره، أصلع تمامًا وله ملامح طفولية محببة للنفس.

كان دكتور باركر يعرفها جيدًا هي وزوجها وابنتهما الجميلة جودي، وقد كان له دور هام معهم جميعا طوال الفترة الأولى من علاج جودي.

رحب بها وأجلسها وأحضر لها عصير البرتقال الذي يقدمه للجميع شاؤوا أم رفضوا، وجلس أمامها وقال:

- كيف حالك ليندا؟ وكيف حال آدم والجميلة جودي؟

- آدم يا دكتور، لقد جئت من أجل آدم.

- ماذا هناك يا عزيزتي؟

قصَت عليه ما حدث لزوجها وما أخبرها به دكتور توني، ثم أعقبت بسؤاله:

– هل هذه حالة فقدان ذاكرة ارتجاعية كما يظن دكتور توني؟

– لا أعلم، يجب أن أرى آدم وأتحدث معه ولكن ليس الآن على أي حال، أريد أشعة مقطعية للمخ في أقرب وقت ممكن وأريدك أن تتحدثي معه كثيرًا وتخبريه عن حياته ولكن شيئًا فشيئًا، واخبريني بالمستجدات أولاً بأول.

– حسنًا دكتور، هناك شيء هام يجب أن تعرفه.

اعتدل د/ باركر ونظر إليها مبديًا اهتمامه: – ماذا يا عزيزتي؟

– هذه ليست المرة الأولي التي يفقد فيها آدم ذاكرته، لقد فقد ذاكرته في السابق قبل أن نلتقي.

– حقا! وكيف حدث له هذا؟

– لا أعرف التفاصيل جيدًا، لقد كان حادث سيارة عندما كان آدم يعيش في مصر، هو لا يتذكر تفاصيل الحادث، فقدْ فقدَ ذاكرته تماما حينها ولم يستعدها أبدا، لقد أخبرني أنه قضى فترة طويلة بالمستشفى هناك، قضاها في القراءة وكتابة روايته الأولى وما أن استعاد عافيته حتى عاد إلى أمريكا، لقد قص عليَّ هذا عندما تعارفنا وسألته عن ماضيه.

– حسنا، إنه أمر هام بالفعل ومثير للاهتمام كذلك ولكن لا تجزعي يا عزيزتي؛ كل شيء سيكون على ما يرام، أعلم أنك تتحملين الكثير ولكنك

إنسانة قوية ولن تنهاري.

- شكرا دكتور باركر، أراك قريبا.

- أمر أخير، أريدك ألا تخبريه عن الحادث السابق حتي أراه.

- حسنا دكتور كما تريد.

وانصرفت عائدة إلى المنزل حيث ينتظرها زوجها ولم تنس أن تمر على السوبر ماركت في طريق عودتها لتشتري بعض الطلبات للمنزل.

* * *

06

- آدم، لقد عدت. قالتها ليندا فور دخولها المنزل واتجهت مباشرة إلى المطبخ لتضع الأشياء التي قامت بشرائها.

شرعت في وضع كل شيء في مكانه وهي تحاول الاستماع إلى أي صوت يصدر عن زوجها ولكن بلا جدوى.

شعرت بالقلق فذهبت لتبحث عنه وهي تنادي عليه من حين إلى آخر، إلى أن وجدته مستغرقًا في النوم على الأريكة مثل طفل رضيع.

شعر بوجودها ففتح عينيه ونظر إليها وابتسم بارتباك واضح.

نظرت إليه بحنان وقالت:

- هل تشعر بتحسن يا حبيبي؟

اعتدل في جلسته ونظر حوله في دهشة وسألها: - أين جودي؟

- ستقضي الليلة عند والدتي، فكما تعلم فهم لم يروها منذ شهر تقريبًا.

- حسنا، أريد أن أتحدث معك.

جلست على كرسي مريح أمامه وقالت:

- بكل سرور يا حبيبي.

- هناك شيء هام أريد أن أخبرك به ولكني أولا أريد أن أعرف بعض الأشياء عني.

- حسنا، كلِّي آذان صاغية.

- أولا أريد أن أعرف البلاد التي زرتها في السابق.

- حسنا، بالإضافة إلى المكسيك التي زرناها مؤخرًا، لقد ذهبنا في رحلة إلى فرنسا وإيطاليا بعد زواجنا مباشرة.

- فقط فرنسا وإيطاليا؟

ترددت قليلا قبل أن تحزم أمرها وقالت:

- نعم، ولكنك قضيت ست سنوات تقريبا في مصر.

قاطعها بلهفة: - مصر.

- نعم، فأبوك كان يعمل بالسفارة الأمريكية بالقاهرة وقد درست في

الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

– حقا! وماذا درست هناك؟

– لقد درست العلوم السياسية يا عزيزي.

قال بدهشة واضحة:

– علوم سياسية! وما هو عملي؟

– حسنا، أنت لم تحب يوما دراسة العلوم السياسية وقد درستها خصيصًا إرضاءًا لوالدك، وبعد انتهائك من الدراسة رفضت العمل الذي رشحك أبوك له وقضيت ما يقرب من العامين في القاهرة تتسكع مع أصدقاء لك هناك وكتبت روايتك الأولى وقتها.

– رواية!

– نعم يا حبيبي، أنت روائي وهكذا تعرفنا.

– حقا، كيف حدث ذلك؟

– بعد انتهائك من الرواية عدت إلى أمريكا وبحثت عن ناشر وصدقني لم يكن الأمر سهلاً فقد كانت روايتك بها نقد لاذع للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وأخيرا وجدت دار نشر قبلت بنشر روايتك الأولى.

– و كيف تقابلنا؟

– دار النشر ملك لأمي يا عزيزي.

– حسنا الآن فهمت، وما كان رد فعل أبي لهذا؟

– حسنا، هو لم يكن سعيدا ولكنه استسلم للأمر الواقع خاصة بعد أن حققت الرواية نجاحًا معقولا، وقد كانت علاقتكم جيدة إلى أن توفى الصيف الماضي.

ساد الوجوم بينهما بعد أن أخبرته زوجته بوفاة والده، أخذ يفكر في الحقائق الكثيرة التي عرفها منها توًا.

كانت المعلومة الأهم بالنسبة إليه هي أنه قضى فترة كبيرة من حياته بمصر، هذا يفسر قليلا معرفته بمصر واللغة العربية وإن كان لا يفسر كل شيء ولكنها خطوة لا بأس بها.

– هل أنت بخير؟

قاطعته بلهجة مليئة بالقلق.

نظر إليها بضع ثواني ثم قال:

– أنا بخير، هناك شيء آخر، ما هو وضعنا المادي؟ وكيف استطعنا الإنفاق على علاج جودي طوال الفترة السابقة؟

– حسنا، لقد استفدنا قليلا من التأمين وإن لم يغط إلا القليل من المصاريف ولكن والدك ساعدنا كثيرًا، وبعد وفاته ورثت بعض الأموال غطت بالكاد رحلة العلاج بالمكسيك، وضعنا المادي حاليا ليس جيدا يا عزيزي، إن

لم تنته من الرواية التي تكتبها الآن سريعا سنكون في وضع سيء، خاصة أنك قد أخذت بعض الأموال من أمي من أجل تلك الرواية.

– أنا أكتب رواية حاليا؟ هل تعرفين شيئا عن موضوعها؟

– حسنا، لقد كنت في السابق دائما ما تطلعني على مسودات رواياتك أولا بأول، ومنذ مرض جودي منذ ما يقرب من العامين لم تكتب شيئا ومن المفترض أنك تكتب هذه الرواية منذ عام تقريبا ولكنك ترفض أن تريني أي شيء، وصراحة اعتقد أنك لم تكتب شيئا بعد.

ثم حدقت بعينيه وقالت:

– والآن أخبرني ما هو الشيء الهام الذي تريد إخباري به؟

– حسنا، أنا لم أفقد ذاكرتي فحسب ولكني أيضا أحمل ذكريات شخص آخر.

– ماذا؟!

– نعم يا عزيزتي أنا أتذكر بالتفصيل حياة شخص آخر، وهذا ليس كل شيء فهذا الشخص ليس أمريكيا حتى.

– ماذا تقول؟

– أقول أني أملك ذكريات شخص آخر وهذا الشخص مصري اسمه حازم يعمل كمهندس وعمره ستة وعشرين عاما فقط.

نظرت إليه بملامح تملؤها الدهشة ولم تجد ما تقوله فأضاف:

- هناك شيء آخر، هذه الذكريات تنتهي في مارس من عام 2006.

ساد الصمت دقائق بين الزوجين إلى أن قطعه آدم قائلا:

- حسنا ليندا، أعلم أن الأمر صعب وغريب ولكننا سنتخطى هذا معا، ربما لو تفقدنا مكان عملي نجد بعض الإجابات.

- حسنا، إن جهاز الكمبيوتر المحمول الذي تعمل عليه في غرفة المكتب، هل أحضره لك؟

- لا ليس الآن، أحتاج إلى استنشاق بعض الهواء النقي، هل ترافقيني في جولة من فضلك؟

- بالتأكيد، سأحضر لك سترتك فالجو يصبح باردًا في هذا الوقت من اليوم، لقد كان الجو جميلاً في الصباح ولكنه أصبح أكثر برودة عندما عدت من الخارج.

ارتدى السترة وانطلق إلى الخارج هو وليندا.

فاجأه الهواء البارد المنعش فأحكم إغلاق سترته وغادرا الباحة الأمامية لمنزلهما.

كان المنزل يقع في الشارع الثاني والعشرين أي، مباشرة أمام ملاعب الجولف، عبرا الشارع وسارا بمحاذاة ملاعب الجولف، وبعد دقيقة مرا

بجوار حديقة الحيوانات حتى وصلا إلى المنتزه.

تأبطت ذراعه الأيمن، وتوغلا قليلا في المنتـزه حتـى شـعر آدم بالتعـب فأشار إلى إحدى المقاعد المنتشرة بالمكان وقال: - فلنجلس قليلا.

جلسا متجاورين ولازالت ليندا تتأبط ذراعـه ثـم أراحـت رأسـها علـى كتفه وبدأت الحديث قائلة:

- ألا تتذكر هذا المكان، آدم؟ لطالما جلسنا سويًا هنا.

شعر بغصة في قلبه ومرارة بحلقه لعدم قدرته على تذكر أي شيء.

- للأسف لا أذكر شيئا يا عزيزتي.

استكانت على كتفه وأغمـضت عينيهـا " ربـاه كـم أنـا مرهقـة " هكـذا كانت تفكر، بينما سرح هـو في المنظـر الجميـل أمامـه حيـث الأشـجار ومـن خلفها قرص الـشمس يطـل باسـتحياء مـن وراء الـسحب متجهًـا إلى غروبـه عنهم ليشرق في مكان أخر.

حقا إنه أمر عجيب، الشمس تـشرق كـل لحظـة طـوال اليـوم في أمـاكن مختلفة وتغرب كل لحظة أيضا، حتى عندما ترى الـشمس في كبـد الـسماء، نفس تلك اللحظة تكون لحظة شروق بمكان ما ولحظة غروب بمكان آخر.

- ليندا، هلا أخبرتني كيف هو زواجنا، هل هو زواج سعيد؟

- إجمالاً أظنه سعيدًا، لماذا تسأل؟

– لا لشيء، فقط أردت أن أعرف، سؤالاً آخر من فضلك، كيف يمكنك وصف شخصيتي؟

اعتدلت ونظرت إليه في حيرة، فقد فاجأها السؤال..

– حسنا، هذا ليس سهلاً ولكني سأحاول.. شخصيتك بشكل عام جيدة ولكنها تتغير طوال الوقت.

– لا أفهم.

– انظر، أنت شخص مزاجي إلى حد بعيد، لا يمكن لأحد توقع ردود أفعالك، أحيانًا تكون هادئًا لدرجة مخيفة وأحيانًا تتحدث بلا توقف، أحيانًا تكون عصبي المزاج جدًا، أحيانًا تعمل لفترات طويلة بلا كلل وأحيانًا تمر عليك أيام كثيرة بلا عمل، أحيانًا تكون مرحًا جدًا وأحيانًا تكون متعكر المزاج جدًا، المشكلة أن كل هذا يحدث بلا أية أسباب واضحة.

– اللعنة، كيف تتحملين العيش مع شخص كهذا؟

– لأنني أحبك.. ولأنك حنون.

نظر إلى عينيها المتعبتين وهمَّ بقول شيء ما إلا أن تليفونها المحمول انطلق فجأة فأجفل.

أخرجته لترى من المتصل فوجدت رقم أمها

– أهلا أمي، كيف حالك؟

بدا القلق واضحا عليها وهيَ تستمع إلى أمها ثم قالت:

- حسنا سنأتي على الفور.

ثم التفتت إلى آدم وقالت: - هيا بنا، جودي ليست على ما يرام.

قاما مسرعين، وقطعا المسافة إلى منزلهما حيث السيارة عدوا وركبا السيارة وانطلقت ليندا بهما.

الفصل الثالث

01

ها هو يجلس على مقعد غير مريح في غرفة الانتظار بالمستشفى، ينتظر زوجته لتأتيه بالأخبار حيث دخلت مع جودي إلى الطوارئ ولم يُسمح له بالدخول حيث لا يُسمح إلا بمرافق واحد مع المريض.

كان يشعر بإرهاق شديد، كانت الساعة تقترب من التاسعة ليلا وقد تذكر توًا أنه لم يأكل شيئًا منذ أن أفطر مع زوجته وابنته في التاسعة صباحًا.

شعر بحاجته إلى الذهاب إلى دورة المياه، نظر حوله إلى أن وجد لوحة تشير إليها فقام ودخل مسرعًا آملاً ألا تخرج زوجته ولا تجده.

وقف يغتسل بعد أن انتهى وقام بغسل وجهه مرارًا حتى يقاوم الإرهاق الذي يحتل جسده كله، وقف أمام المرآة يتأمل انعكاس صورته، كانت المرة الأولى التي يتأمل فيها نفسه منذ أن أحضر له دكتور توني المرآة الصغيرة في مستشفى المكسيك.

كان الشيب قد زحف إلى معظم شعره تاركًا القليل من الشعر البني الغامق، لاحظ أن عينيه لا تبدوان غريبة عنه، هي تقريبا نفس عين حازم

التي يتذكرها جيدا بلونها العسلي الفاتح، ربما تكون فقط أفتح قليلا.

لاحظ آثار جرح قديم في الجانب الأيمن العلوي من جبهته، لم يكن لحازم جرح كهذا، كان هناك اختلاف واضح في الملامح بينه وبين حازم، وربما التشابه الوحيد بينهما هو تشابه العينين، إلا أن حازم لديه جرح قديم بجوار عينه اليمنى وآدم لا يمتلك مثل هذا الجرح.

أفاق من شروده على صوت أحدهم يطرق الباب عليه، فنظر إلى نفسه نظرة أخيرة وعاد إلى الباب وفتحه ليجد زوجته أمامه، عاجلها قائلا:

– ما الأخبار؟ كيف حال جودي؟

– هي أفضل الآن، لقد قاموا بعمل تحليل دم لها واكتشفوا انخفاض مستوى البوتاسيوم وقاموا بتعليق محلول تصحيح البوتاسيوم وسنبيت ليلتنا هنا، أعلم أنك لا تتذكر الآن ولكن هذا الموقف تكرر معنا كثيرا في السابق، جودي نائمة الآن، فلنذهب إلى الكافيتريا، أنت لم تأكل شيئا منذ الصباح.

كانت الكافيتريا شبه خاوية في هذا الوقت، أحضرا شطيرتين وكوبين من القهوة وجلسا يأكلان في صمت.

شعرا بانتعاش بعد أن شربا القهوة، فقاما حيث ذهبت ليندا لتلقي نظرة على ابنتهما وعاد هو إلى كرسيه في غرفة الانتظار.

أخذ يفكر في كآبة المكان وفي طفلته التي أُجبرت على قضاء طفولتها بين أرجاء المستشفيات بدلا من أن تقضيها في اللعب مثلها مثل بقية الأطفال.

كانت ابنته تقترب من عامها الخامس وقد أفقدها المرض حتى القدرة على المشي على قدميها، يا لها من قسوة أن تُحرم طفلة من قضاء الطفولة الطبيعية التي تستحقها.

رأى ليندا تعود لتجلس إلى جواره، نظر إليها ليجدها تنظر أمامها بشرود، أحاطها بذراعه وكأنه مس دون أن يدري زرا ما، فما أن لمسها حتى انفجرت باكية.

لم يعرف آدم ماذا يفعل، فقد فاجأته ليندا تماما بنوبة البكاء التي انخرطت فيها، احتضنها بحنان تاركا لها المجال لتفريغ تلك الشحنة.

ظلت تبكي عدة دقائق ثم اعتدلت ومسحت الدموع عن وجهها.

– آسفة، لم استطع تمالك نفسي، أنت تعلم الضغوط.

– لا عليك يا عزيزتي، كل شيء سيكون على ما يرام.

التفتت إليه وقد تذكرت فجأة زيارتها للدكتور باركر.

– حبيبي هناك شيء هام أريد إخبارك به، لقد ذهبت لزيارة دكتور باركر، الطبيب النفسي، أعلم أنك لا تتذكره الآن، لكنك التقيته كثيرا في

السابق فقد كنا نذهب إليه في بداية مرض جودي، إنه طبيب جيد.

– هل تريديني أن أذهب إليه؟

– هو يريدك أن تقوم بعمل أشعة مقطعية على المخ أولا، يمكنك أن تقوم بعملها في الصباح قبل أن نغادر المستشفي.

– حسنا، كما تريدين.

– سأذهب لتفقد جودي وسأبقى معها بعض الوقت.

– حسنا، سأبقى هنا.

تركته وذهبت، أخذ يراقبها حتى اختفت خلف الباب المؤدي إلى الداخل ثم أسند رأسه على راحتيه وأغلق عينه إلى أن غلبه النعاس ونام.

سيارة مسرعة

ظلام دامس

دوي انفجار، اهتزاز عنيف، صفير مكابح

السيارة تدور بعنف وتبدأ في الانقلاب مرارا وتستقر في النهاية على جانبها

ألم، دماء، رؤية مشوشة

ثم رأى وجهه مغطى بالدماء، وأخذت الرؤية تزداد ضبابية إلى أن خبت نهائيا..

- آدم، استيقظ.

فتح عينيه، ونظر حوله ببلاهة عدة ثواني قبل أن ينتبه إلى ليندا التي تحيط رأسه بيدها، فتذكر فجأة أنه بالمستشفى فاعتدل محرجا ونظر في ساعته ليجدها تشير إلى الثامنة صباحا.

- آدم، هل أنت بخير؟ لقد كنت تصدر أصواتا مخيفة كصوت شخص يحتضر.

- مجرد حلم، أين جودي؟

- سننتهي بعد نصف الساعة ولقد أخبرتهم بموضوع الأشعة ويمكننا الذهاب الآن للقيام بها.

- حسنا.

قام وسار معها إلى أن وصلا للمكان، فتركته مع المرضة وعادت إلى ابنتها، قام بإجراء الأشعة، وترك المكان ليعود إلى غرفة الانتظار.

مر على الكافيتريا أثناء عودته فدخل إليها وطلب قهوة جلس يشربها باستمتاع، ثم قام وعاد إلى غرفة الانتظار ليجد زوجته وابنته في انتظاره، حمل ابنته وانطلقوا.

* * *

02

فور وصولهم إلى البيت توجهوا إلى الفراش بعد تلك الليلة الشاقة،

نامت ليندا وجودي بينما عجز آدم عن النوم.

غادر الفراش في هدوء وتوجه إلى الطابق السفلي حيث تقع غرفة المكتب شاعرا بخوف وحماس لما قد يكتشفه هناك.

كانت الغرفة بسيطة بها مكتب متوسط الحجم ومكتبة تحتل جدارا كاملا ممتلئة بالكتب بعكس المكتب الفارغ إلا من جهاز كمبيوتر محمول ودفتر ملاحظات وقلم.

جلس على الكرسي المقابل للمكتب، تفقد الدفتر ليجد بعض الملاحظات والكلمات المفتاحية، أخذ يقلب فيه باحثا عن شيء ما ولكنه لم يجد ما يثير الاهتمام.

قام بتشغيل جهاز الكمبيوتر وبدأ البحث في الأدراج عله يجد ما يثير ذاكرته أو يقدم له تفسيرا ما، الدرج الأول وجد به مجموعة من الأوراق الرسمية تخصه هو وأبوه، الدرج الثاني وجد به مجموعة من دفاتر الملاحظات بعضها ممتلئ عن آخره بكلمات غير مترابطة والبعض الآخر جديد تماما مع مجموعة من الأقلام بألوان مختلفة، الدرج الأخير وجد به ملفا ضخما بني اللون ممتلئ عن آخره.

أخرجه شاعرا برهبة، فهذا الملف يبدوا مثيرا للاهتمام، وضعه بجوار الكمبيوتر ليتفاجأ بأن الكمبيوتر قد فُتح طالبا منه إدخال كلمة

المرور.

ظل يحدق في الشاشة لمدة دقيقة كاملة وهو يفكر في حل لهذا المأزق، كيف يمكنه أن يتذكر كلمة المرور وهو لا يتذكر شيئا على الإطلاق.

هل يمكن أن تكون زوجته على علم بكلمة المرور، سأل نفسه وبدا له الأمر سخيفا ولكنه كتب اسم زوجته ككلمة المرور ولدهشته كانت كلمة المرور صحيحة.

ابتسم رغما عنه وبدا مترددا بشكل كبير بأيهما يبدأ، بالكمبيوتر أم بالملف البني، كان يشعر بتوتر كبير وخوف مبهم، وكان يبحث عن أي شيء يمكنه أن يؤجل ما هو على وشك القيام به فقام وغادر الغرفة وذهب إلى المطبخ ليعد لنفسه كوبا من القهوة.

وقف حائرا لا يدري أين يبحث وفجأة تذكر أنه في أمريكا حيث يعدون القهوة الأمريكية التي يجهل حتى كيفية إعدادها..

– هل تبحث عن شيء ما؟

أتاه صوت ليندا التي شعرت بغيابه فقامت تتفقده، التفت إليها وقال:

– كنت أريد إعداد كوب من القهوة ولكني لا أعرف كيف.

– حسنا سأعد لنا شطيرتين وكوبين من القهوة، لماذا لم تخلد إلى النوم؟

- لم أستطع، ففكرت أن أتفقد غرفة المكتب، وقد قمت بتشغيل جهاز الكمبيوتر بالفعل قبل أن أحضر إلى هنا.

- حقا! وهل تذكرت كلمة المرور؟

ابتسم وقال: - لقد قمت بتجربة اسمك وقد كان صحيحا.

- حقا! هل كانت كلمة المرور هي اسمي؟

- نعم يا عزيزتي.

- حسنا، يمكنك الجلوس وسنأكل ونذهب سويا لاكتشاف الأمر.

جلس على المنضدة وأخذ يراقبها وهي تعد الشطائر والقهوة إلى أن انتهت فجلست إلى جواره وبدأ يأكل دون شهية ثم شرب كمية كبيرة من المياه، كانت ليندا قد انتهت هي الأخرى من الطعام فأحضرت كوبين وأعطته قارورة ممتلئة بالقهوة وقالت:

- هيا، يمكننا أن نشرب القهوة بغرفة المكتب.

قاما وتوجها إلى غرفة المكتب، وضع القارورة على المكتب وجلس على الكرسي المقابل للكمبيوتر بينما ملأت ليندا الكوبين بالقهوة وأحضرت كرسيًا وجلست إلى جواره.

أشار إلى الملف البني المتخم بالأوراق: - هل لديك فكرة عما يوجد بهذا الملف؟

- نعم، إنه ملف قديم جئت به معك من مصر، لقد أخبرتني أن به المسودة الأولى لروايتك التي كتبتها هناك مع بعض اليوميات.

وجه انتباهه إلى جهاز الكمبيوتر، وبدأ يتفقده متظاهرا بالهدوء، كان نظام التشغيل حديثا ويبدو غريبا عما يتذكره ولكنه استطاع التعامل معه ولكن بطريقة بطيئة نسبيا.

وجده مقسما إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول خاص بنظام التشغيل، القسم الثاني تحت اسم جودي فتحه ليجده مليئًا بصور لهم ولجودي في مناسبات مختلفة، القسم الثالث تحت اسم العمل فتحه ليجده مليئًا بالملفات المختلفة:

برامج، كتب، مسودات، روايات منتهية، شخصيات

فتح ملف الشخصيات ليجد به مئات الملفات يحمل كل منها اسم شخصية، شرع في المرور عليها سريعا الواحد تلو الآخر.

قاطعهما صوت جودي يناديهما، فقامت ليندا مسرعة لتذهب إليها بينما استمر هو في تفقد أسماء الشخصيات، وفجأة توقف كمن رأى شبحا.

فالملف الأخير كانت معنون باللغة العربية على غير جميع الملفات الأخرى.

ما أثاره حقا هو أنه استطاع قراءته بسهولة

كان اسم الملف ببساطة

حازم

* * *

03

عندما دخلت ليندا عليه وهي تحمل جودي وشاهدت تعبيرات وجهه شعرت بالفزع، كان كمن رأى شبحا.

- ماذا هناك؟ هل وجدت شيئا؟

نظر إليها نظرة خاوية وتمتم: - أظن ذلك.

شعرت أنه لا يريد صحبة أحد الآن فقالت:

- حسنا، سأذهب لأطعم جودي وسنوافيك لاحقا. وانصرفت وأغلقت الباب خلفهما.

راقبهما بنصف تركيز وظل يحدِّق إلى الباب المغلق عدة ثواني قبل أن يتذكر ما كان يفعل ليعود ويغوص مجددا فيما هو مكتوب، لم يكن عنوان الملف فقط هو المكتوب باللغة العربية بل كانت جميع صفحاته باللغة العربية.

خمسون صفحة كاملة باللغة العربية.

كان هذا الأمر يثير آدم بشكل خاص، كيف لآدم الأمريكي أن يجيد الكتابة باللغة العربية؟

ربما بعد قضاء ست سنوات في مصر يمكنه التحدث بالعربية إلى حد ما ولكن أن يتعلم الكتابة بالعربية أمر غير منطقي على الأطلاق، أزاح الأمر عن رأسه مؤقتا وبدأ في قراءة المقدمة:

" في الفترة الأخيرة تراودني أحلام عجيبة، أعيشها كشخص آخر مصري يدعى حازم، لا أعرف إن كنت قد قابلت هذا الشخص عندما كنت أعيش في مصر أم لا، فقد فقدت ذاكرتي قبيل عودتي من مصر بعدة شهور نتيجة حادث سيارة، ولم أستعد ذاكرتي من وقتها.

الغريب في هذه الأحلام أنها تكون واضحة كأنها حقيقية، أعيش فيها في شخص حازم أتكلم بلغته وأكتب بلغته وأشعر بمشاعره، حاولت تجاهل الأمر ولكن الأحلام تأتيني بصفة يومية حتى أنني أستيقظ أحيانا في الصباح غير قادر على معرفة من أكون وأحتاج عدة دقائق حتى أعود إلى الواقع.

قررت أن أكتب ما أتذكره من هذه الأحلام لعلي أصل لفهم الرسالة والهدف من ورائها، وقد فوجئت حقا بقدرتي على الكتابة باللغة العربية بهذا الشكل، لا أذكر إن كنت قد تعلمت الكتابة باللغة العربية من قبل أم لا ولكن الأمر أكبر مني فعليا، فما أن قررت الكتابة حتى فوجئت أنني أكتب باللغة العربية علما بأن لوحة المفاتيح لا يوجد بها سوى الحروف الإنجليزية، وأنا أكتب الآن دون حتى النظر إليها ".

في الصفحات التالية وجد آدم الكثير من الأحلام، والتي كانت تتناول حياته التي يتذكرها جيدا كحازم إلى أن وصل إلى الصفحة الأخيرة ليجد التالي:

حلم يتكرر كثيرا

سيارة مسرعة

ظلام دامس

دوي انفجار، اهتزاز عنيف، صفير مكابح

السيارة تدور بعنف وتبدأ في الانقلاب مرارا وتستقر في النهاية على جانبها

ألم، دماء، رؤية مشوشة

ثم أرى وجهي مغطى بالدماء، والرؤية تزداد ضبابية إلى أن تخبو نهائيا

* * *

04

كانت الحقائق التي قرأها آدم توا أكبر من قدرته على الاستيعاب، شعر أن عقله قد توقف عن العمل، ولم يعد باستطاعته معاودة التفكير.

الحلم المذكور بالملف هو نفسه الحلم الذي رآه عندما نام على الكرسي بالمستشفى، تساءل هل هذا هو الحادث الذي فقد بعده ذاكرته، ربما.

ظل عدة دقائق ينظـر إلى الـشاشة دون تركيـز ثـم عـاد إلى صـوابه فقـام بإغلاق الملف والكمبيوتر كلـه وأغمـض عينيـه عـدة ثـوان ثـم قـام ليعـود إلى أسرتـه.

في تلك اللحظة كانت جودي قد انتهت مـن تنـاول الطعـام عنـدما رأت والدها يخرج شاردا من غرفة المكتب فنظرت له حائرة وقالت:

– ماذا بك يا آدم، لا تبدو على ما يرام، هل أنت مريض؟

أرادت ليندا أن تتكلم ولكن آدم أشار إليها وذهب إلى ابنتـه وجلـس إلى جوارها وأجلسها على قدميه وقال:

– حسنا يا حبيبتي، يبـدو أنـني مـريض بالفعـل، فقـد نـسيت أشـياء كثيرة، هل يمكننك مساعدتي؟

– بالتأكيد، يمكنني أن أقص عليك أي شيء لا تتذكره.

– حسنا أخبريني عنك وعن أمك وعني.

بدأت جودي تتحدث وتقص عليه أشياء متفرقة عن حياتهم جميعا.

نظرت لهم ليندا وابتسمت وتركتهم وصعدت إلى الدور العلوي لتجهـز العلاج لابنتها فقد كان العلاج الجديد الذي بـدأوه في المكـسيك علاجـا طويـل المـدى، ومـا كـان العـلاج الـتي تلقتـه جـودي هنـاك سـوى المرحلـة الأولى، والمرحلة الثانية ستستمر لمدة ثلاثة أشهر من العلاج المنزلـي ثـم يعـودون إلى

المكسيك مرة آخرى لمدة أسبوع ثم يكملون العلاج بالمنزل إلى نهاية العام.

كانت هناك الكثير من الأمور التي تشغلها، فبجانب مرض ابنتهما وبروتوكول العلاج، هناك الحالة الغريبة التي يعانيها زوجها، بالإضافة إلى حاجتهم الملِحة إلى المال، فكرت في العودة إلى العمل مجددا حيث كانت تعمل مع والدتها في دار النشر ولكن جودي تحتاج إلى رعاية مستمرة الأمر الذي يحول دون ذلك.

كانت تتساءل عما وجد زوجها في جهاز الكمبيوتر وكانت تشعر بتوتر وخوف مبهم لا تدري كنهه، أنهت الاستعدادات وطردت الأفكار عن رأسها وعادت إليهما لتجدهما لازالا يتحدثان ويضحكان بصوت عال، ابتسمت رغما عنها وهي تقول:

– حسنا، هل يمكننا الآن البدء في العلاج؟

نظرت جودي إليها بضيق واضح، فحملها آدم وقام ليسير خلف زوجته ويهمس في أذن طفلته:

– يجب أن تأخذي علاجك يا حبيبتي وبعدها سنخرج ونذهب إلى المكان الذي تختارينه.

– اتفقنا.

سار خلف ليندا حاملا ابنته إلى أن وصلا إلى غرفة جودي، فقام

بوضعها على فراشها ووقف يراقب زوجته بتركيز.

قامت ليندا بإخراج المنفذ المتصل بالشريان الرئيسي لجودي من تحت ملابسها وقامت بتطهيره جيدا قبل أن تضع بها حقنة الدواء المعلق بجوار السرير ثم تقوم بضبط سرعة نزول المحلول حتى وصلت إلى السرعة المطلوبة فجلست بجوار ابنتها وأشارت إليه ليجلس بدوره.

- سيستغرق هذا المحلول نصف ساعة. قالتها بهدوء دون توجيه الكلام لأي منهما.

جلس آدم على كرسي مريح وأخذ يراقب زوجته وابنته بحذر.

كانت زوجته تبدو متعبة، مشوشة، قلقة لأقصى حد ممكن، كانت تجلس بجوار جودي وتنظر إلى الفراغ ومن حين إلى آخر تراقب المحلول لتتأكد من أن كل شيء على ما يرام.

كانت جودي هي الأخرى تنظر إلى الفراغ وقد اكتسى وجهها بحزن لا يليق بطفلة لم تبلغ بعد الخامسة من عمرها، شعر بالألم يعتصر قلبه بقوة، حاول أن يقول شيئا ما ولكن الهواء كان ثقيلا وشعر أنه فقد القدرة على النطق من الأساس.

مرت الدقائق بطيئة حتى انتهى المحلول فقامت ليندا بتغييره وتركيب آخر وتركته ينزل سريعا وما لبث أن انتهى بعد عدة دقائق.

قامت بعدها بنزعه وتطهير المنفذ جيدا، ثم قامت بتغطيته بالشاش وأودعته مرة أخرى بين طيات ملابس ابنتها.

ظن آدم أن العلاج قد انتهى وهم بالقيام ولكنه فوجئ بزوجته تحضر لمبة حمراء وتخلع ملابس ابنتها لتوجه المصباح إلى ظهرها **15** دقيقة ثم إلى قدمها المتورمة **15** دقيقة أخرى

همّ بسؤال زوجته عما تفعل ولكنها شعرت بتساؤلاته، فقالت: إنه مصباح أشعة تحت الحمراء.

بعد أن انتهت، جاءت بجهاز يشبه جهاز التليفون ولكنه أكبر حجما، وقامت بوضع جِل على قدم ابنتها المتورمة وقامت بتشغيل الجهاز وأمسكت بسماعته وأخذت تحركها بطريقة دائرية على قدم ابنتها، ونظرت إلى آدم وقالت:

– هل يمكنك مساعدتي؟

– بالتأكيد. قالها وقام مسرعا وأخذ منها السماعة وأخذ يفعل مثلما كانت تفعل إلى أن انتهى التوقيت وتوقف الجهاز عن العمل ثم قاما بتكرار الأمر مرة أخرى ولكن في منطقة الظهر هذه المرة.

– هذا الجهاز يسمى **Sono-Photo Dynamic Therapy** ويطلق موجات صوتية تساعد على الشفاء. قالتها ليندا موضحة.

بعد انتهائهما قامت ليندا بمسح الجل جيدا من جسد ابنتها وألبستها ملابسها، وقامت لترتب كل هذه الأشياء استعدادا لتكرار العلاج في اليوم التالي.

قام آدم ليذهب لابنته ليحاول إخراجها من حالة الوجوم المسيطرة عليها وقبل أن يصل إلى سريرها بخطوة شعر بدوار قوي وسقط فاقدا للوعي.

* * *

05

شعر آدم بخفة غير عادية وكأنه غير موجود من الأساس، يحدِّق إلى غرفة نوم بسيطة مكونة من سرير صغير ومكتب عليه جهاز كمبيوتر يبدو قديما ودولاب صغير.

تذكر الغرفة على الفور، هي الغرفة التي تتفق مع ذكرياته كحازم، ولكنه ينظر إليها من الأعلى وكأنه ملتصق بالسقف، ماذا يحدث! هل هذا حلم آخر؟

باغته دخول حازم إلى الغرفة يمشي بصعوبة بالغة متكئا على عكازين وجلس متأوها أمام جهاز الكمبيوتر.

شرع آدم في مراقبته وتفحصه باهتمام وفضول، كان كما يتذكره تماما، جلس يتفحص بريده الإلكتروني بسأم واضح وفجأة توقف كمن أصابته صاعقة قوية.

شعر آدم بالفضول لمعرفة ما الذي أصاب حازم، حاول النظر إلى الشاشة ولدهشته وجد أن نظره يتحرك بسلاسة إلى الشاشة، لم يشعر أنه يتحرك، فقط الأشياء تتحرك لتصبح في مرمى بصره، هو لا وجود له من الأساس.

أفزعه الأمر، تساءل هل أصبحت شبحا؟ أخرجه حازم من شروده عندما قام بإغلاق جهاز الكمبيوتر ليقوم بصعوبة بالغة ويتوجه إلى السرير ويلقي بنفسه فوقه ليستلقي على ظهره وينظر إلى السقف بشرود.

أخذ يراقبه ويتساءل عما يفكر، وبعد فترة تذكر حاله وبدأ يتساءل عما يجري، هل هذا حلم آخر؟ لا يبدو هذا مثل الأحلام، لا يوجد أحلام بهذا الوضوح، الغريب في الأمر أني فقط أراقب ما يحدث، ولا يد لي في الأحداث، فقط أراقب وأشاهد كمن يشاهد فيلم سينما ولكن ليس من مقاعد المشاهدين بل من داخل الشاشة.

ألقى نظرة على حازم الشارد ليكتشف دمعة حبيسة فرت عنوة من عينه لتستقر في النهاية على الوسادة، شعر بالأسى تجاهه وتساءل عن سبب حزنه الشديد وعن سبب الحالة الجسدية التي يعاني منها، هل الحادث الذي حلم به مرارا له علاقة بهذا الأمر؟

فجأة بدأت الخيوط تترابط أمامه

تذكر عندما قرأ ملف حازم على جهازه عندما كتب أنه لا يتذكر شيئا

عن الفترة التي عاشها بمصر لأنه تعرض لحادث سيارة أفقده ذاكرتـه، هـل كان حازم معه في ذلك الحادث؟

تذكر الحلم الذي رآه في المستشفى وما كتبـه في ملـف حـازم، هـل كـان الوجه المغطى بالدماء وجهي أم وجه حازم، بالتأكيد هـو وجـه حـازم، نعـم إنه وجهه بكل تأكيد.

إذن لقد كان حازم معه في السيارة أثناء ذلك الحادث، ولكن هناك سـبع سنوات مرت علـى هـذا الحـادث، وبالفعـل مـا يتـذكره كحـازم أنـه كـان في السادسة والعشرين من عمره والعام هو **2006**.

هل هو يشاهد الماضي الآن!

* * *

06

ظل حازم مستلقيا على سريره، ناظرا بشرود إلى السقف، كان يفكـر في الرسالة التي وجدها في بريده الإلكتروني، كانـت الرسـالة منهـا هـيَ، هـيَ التي اختفت تماما منذ ما يقرب من العام والنصف دون إبداء أسباب وتركـت له مرارة الألم.

كانت لاتـزال تـشغل عقلـه وقلبـه ولكنـه كـان قـد اعتـاد علـى الفـراق واستسلم له، وها هي ترسل له رسالة في توقيت سيء تماما.

لم يجرأ على قراءة الرسالة، كان يعلم أن الرسالة ستزيد من تعاسته.

حين تصبح الأمور أفضل ربما يقرؤها، وربما لا يفعل، فوقتها سيكون الأوان قد فات.

كان عاجزا تقريبا بعد الحادث الذي تعرض له منذ ثلاثة أشهر، وها هو يعيش عالة على أخيه الأصغر الذي لازال يدرس في الفرقة الثالثة بكلية العلوم.

كان شهر يونيو قد انتصف ولم يتبق لأخيه سوى اختبار أخير بعد عدة أيام ويبدأ في إجازة نهاية العام الدراسي ليتفرغ إلى عمله الاضطراري، حيث كان يعمل بصيدلية قريبة من منزلهم لمدة ثمان ساعات يوميا ويأخذ راتبا بالكاد يكفي الحد الأدنى من متطلبات الحياة لكليهما.

كان يشعر بمرارة العجز في حلقه ويتمنى الموت مائة مرة كل يوم هربا من آلامه الجسدية وآلامه النفسية.

شعر حازم بأن هناك شيئا غريبا يحدث، لماذا يشعر أن هناك من يراقبه، لماذا يشعر أن هناك أحدهم معه في الغرفة يراقب كل خلجة من خلجاته.

- البارانويا، كأن هذا ما كان ينقصني. قالها ساخرا بصوت مكتوم.

سمع صوت جرس الشقة تلاه صوت فتح الباب.

نظر في ساعته ليجدها تقترب من الخامسة مساءً، فعرف أن القادم هو

طارق صديقه الحميم الذي يواظب على القدوم يوميا بعد أن ينتهي من عمله ليقضي الوقت معه ويؤنس وحدته الإجبارية.

- طارق، أنا هنا في غرفتي. ناداه بصوت عال.

- كيف حالك اليوم يا صديقي؟

- مثل الأمس.

- ماذا بك يا حازم؟ تبدو حزينا بشكل زائد اليوم، لا يمكنك الاستمرار في هذه الحالة إلى الأبد، يجب أن تخرج منها وتستمر في حياتك، هذا الحادث لم ينه حياتك ويجب أن تخرج منه أكثر قوة لا أكثر ضعفا.

نظر إليه نظرة شاردة، هو يعلم أنه على حق ويريد صالحه، يعلم أنه يجب أن يكون أكثر قوة ولابد له من أن يتعامل مع الواقع بصورة أفضل، هو يعلم أن مشكلته نفسية أكثر منها عضوية، ولكنه قرر أن يلوم الظروف والأحداث دون أن يفكر في الطريقة المثلى للتعامل مع الأمر الواقع.

ساد الصمت بينهما عدة دقائق، وغرق كل منهما في أفكاره الخاصة، كان طارق يفكر في الطريقة المثلى لمساعدة صديقه دون أن يصطدم بعناده المعروف وكبريائه المبالغ فيه.

كان حازم يحتاج إلى جلسات علاج طبيعي على وجه السرعة والسبب الوحيد وراء عدم البدء في هذا العلاج هو عدم قدرته على دفع نفقاته، لذا

فقد اتفق طارق سرا مع كريم أن يتحمل الأول كلفة هذا العلاج.

وبالفعل أخذ صور الأشعة الخاصة بحازم وعرضها على أحد أطباء العلاج الطبيعي واتفقا على أن يبدأ العلاج في هذا اليوم بالذات في تمام الساعة السابعة وكل ما يحتاجه الآن هو إقناع حازم وكسر عناده اللامنطقي.

– حازم، أنت تعرف أنني أعتبرك مثل أخي الذي لم تلده أمي، وتعرف أنني أريد صالحك وأريد مساعدتك.

نظر له حازم نظرة خاوية وتمتم بصوت غير مسموع: – نعم أعرف.

– حسنا، يجب أن تضع الماضي وراءك ولا تفكر فيه كثيرا، ما حدث قد حدث بالفعل ولا شيء يمكنه تغييره وما تفعله الآن يؤثر سلبا على مستقبلك ليس إلا.

نظر له حازم ساخرا وقال متهكما: – مستقبلي!

– نعم مستقبلك، لماذا تتحدث دائما كما لو كانت حياتك قد انتهت بالفعل؟ لا تزال في بداية حياتك وما حدث لك مجرد عثرات تواجه الجميع طوال الوقت ولابد لك من مواجهتها والتعلم منها.

بدا كما لو أن حازم سيقول شيئا ما ولكنه تراجع واستمر في حالة الصمت، مما شجع طارق على أن يكمل ما بدأه ليصل إلى ما يريده من هذا الحديث.

– يجب أن تفكر في الأولويات أولا، أنت الآن لا تحتاج إلى شيء إلا العلاج الطبيعي حتى تستطيع أن تمارس حياتك بشكل طبيعي وبعدها يمكنك أن تقرر ماذا تريد أن تفعل.

حاول حازم أن يقول شيئا ما ولكن طارق قاطعه بإشارة من يده وقال:

– لا تقل شيئا، لأنك في الغالب ستقول حماقات، لقد اتفقت بالفعل مع طبيب علاج طبيعي وستبدأ اليوم في تمام الساعة السابعة، هيا انهض لنأكل، لقد أحضرت معي طعام الغذاء، هيا سأساعدك.

ساعده على النهوض من السرير وتوجها إلى الطاولة التي وضع طارق عليها لفة الطعام، جلسا متقابلين وأكلا في صمت.

* * *

07

ركب حازم إلى جوار صديقه الذي انطلق بسيارته ليلحقا بموعد أخصائي العلاج الطبيعي.

كان طارق قلقا على حازم الذي لم يتحدث تقريبا منذ أن التقيا، وكان ينفذ طلباته وإرشاداته بآلية وبطريقة لم يعهدها فيه من قبل.

أراد طارق أن يقول شيئا ما ليكسر حالة الصمت المسيطرة عليهم ولكنه لم يجد ما يقال فالتزم بالصمت.

وصلا قبل موعدهما بعشر دقائق، لذا جلسا صامتين في غرفة الانتظار

وبعد خمس عشرة دقيقة جاءت مساعدة الطبيب وقادت حازم إلى الداخل بينما بقى طارق في غرفة الانتظار غارقا في أفكاره.

كانت مشاعر طارق معقدة، عندما يبقى وحيدا ويفكر في حاله يشعر بالأسى، كانت حياته شبه فارغة، لا شيء سوى العمل الذي لم يحبه يوما، لا أصدقاء له سوى حازم، ولذلك كان دائما ما يجد نفسه يفكر بحازم أو بمشاكل حازم أكثر مما يفكر في نفسه.

عندما اكتشف الأمر للمرة الأولى شعر بخواء عقلي رهيب، وبدأ يتساءل هل حياته خاوية إلى هذا الحد.

كانت حياته بالفعل رتيبة وروتينية بشكل مبالغ فيه، يستيقظ، يذهب إلى العمل، يعود إلى البيت، يشاهد التليفزيون حتى ينام.

بالرغم من صداقته القوية مع حازم إلا أن شخصيتهما كانتا مختلفتين في كثير من الأمور، حازم يكره الروتين بشكل مبالغ فيه، وربما يغير طريق عودته إلى بيته لطريق أطول كسرا للروتين، وعلى النقيض كان طارق الذي كان يرى أن الأمور الروتينية اليومية فيها شيء من الأمان الذي يحتاج إليه.

شيء آخر كان مختلفا بينهما، كان حازم لا يحب قضاء وقته بالبيت، كان يحب أن يقضي وقته في التسكع في الشوارع أو الجلوس على المقاهي حتى

وإن كان وحيدا، على عكس طارق الذي لا يخرج إلا إذا كانت هناك صحبة معه.

بينما كان طارق غارقا في أفكاره جال بخاطره تحليل آخر وراء تفكيره بحازم ومشاكله أكثر ما يفكر بنفسه وبمشاكله، ربما تكون حيلة دفاعية لا إرادية من عقله للهروب من التفكير في مشاكله الخاصة.

" لماذا لا تتزوج؟ "

كثيرا ما سأله حازم هذا السؤال، ودائما يجيبه بنفس الإجابة " وأين يمكنني أن أقابل زوجتي المستقبلية؟ أنا لا أذهب إلا إلى مكانين، العمل والمقهى معك، ولا توجد زوجات في هذه الأماكن، وأنت تعلم أنني لن أتزوج زواج صالونات لأنني لا أحب هذه الطريقة "

كانت تلك هي الإجابة التي يقنع نفسه بها ولكن هل هذه هي الحقيقة؟ لماذا يكره زواج الصالونات إلى هذا الحد؟ هل لأنه يخشى أن يضع نفسه في موضع المرفوض؟ ربما

أخرجه من أفكاره خروج حازم من الداخل، فقام مسرعا ليساعده حتى وصلا إلى السيارة.

* * *

08

- لماذا أنت صامت هكذا يا صديقي؟ قالها طارق محاولا كسر حالة

الصمت التي طالت.

– أنت أيضا صامت يا صديقي.

– أنا فقط شعرت بأنك تفضل الصمت فلم أرد أن أزعجك.

– حسنا. كم الساعة الآن؟

– إنها الثامنة.

– حسنا، لا تعد بي إلى البيت ولنذهب لنجلس على المقهى إذا أردت.

ابتسم طارق وقال شاعرا بالابتهاج:

– طبعا أريد. لم نجلس على المقهى منذ فترة طويلة.

– بلى، كانت جلستنا الأخيرة قبل سفري للعمل.

وصلا إلى المقهى الذي اعتادا الجلوس فيه منذ سنوات، جلسا متجاورين بينهما طاولة صغيرة.

ارتشف حازم القهوة بلذة واضحة وأشعل سيجارة من علبة طارق ثم التفت إليه قائلا:

– كيف حال العمل؟

أجاب طارق بروتينية: – الحمد لله، لا جديد.

– حسنا، أنت تعرف رأيي في هذا الموضوع ولقد تحدثنا فيه مرارا من

قبل ولا داعي لقول المزيد، فقط أريد تذكيرك بنقطة واحدة ولن أعـود مجـددا لمناقشة هذا الموضوع.

– حسنا يا صديقي وما هي هذه النقطة؟

– لا تضيّع عمـرك هبـاءً، لا تـزال الفرصـة أمامـك لتجـد عمـلا أفـضل ويجب أن تعي جيدا أنه كلما مر الوقت قلت فرصك، فكر في الموضوع واتخـذ قرارك.

تمتم طارق: – سأفعل.

ثم التفت إلى حازم محاولا تغيير مجرى الحديث:

– كيف كانت جلسة العلاج؟

– لا بأس بها، مؤلمة قليلا ولكن لا بأس، أخبرني الطبيب أنـه خـلال فترة قصيرة سأستطيع ممارسة حياتي بـشكل طبيعـي، ولكـن لـيس إلى حـد لعب كرة القدم طبعا.

ابتسم طارق مشجعا، كان يعلم مقدار شغف صديقه بكـرة القـدم ولكـن حازم استطرد قائلا:

– ولكن هذا لا يهم الآن، إنه وقت الاعتزال على أي حال.

– حسنا، ماذا تنوي أن تفعل بعد أن يتم شفاؤك؟ هل ستعود إلى نفـس الشركة أم ستبحث عن عمل في شركة أخرى؟

– لم أقرر بعد، لا أظنهم سيعيدونني إلى العمل معهم، أنا لم اعمل معهم سوى أسبوعين، وكما تعلم أنا لم أتصل بهم بعد الحادث، فقد فقدت تليفوني في الحادث، لقد اختفيت فجأة بالنسبة لهم وهذا أمر سيء على ما اعتقد.

– يمكنك أن تذهب لهم وتشرح لهم ما حدث وأظنهم سيقدرون الموقف.

– ربما. قالها حازم في شرود، ثم نظر حوله وأخذ يتفحص وجوه رواد المقهى بفضول.

– هل هناك خطب ما؟

– لا أعرف، ظننت أنني قد رأيت وجها مألوفا، ولكنها مجرد هواجس في الغالب، هيا بنا، قدمي تؤلمني بشدة وأود أن أستريح.

– حسنا، هيا بنا.

الفصل الرابع

01

صرخت جودي في فزع عندما سقط أبوها أمامها. هرعت ليندا إليه سريعاً وأمسكت برأسه وحاولت إنعاشه ولكنه كان في غيبوبة عميقة.

أسرعت إلى التليفون واتصلت برقم الطوارىء وعادت إليه وجلست إلى جواره وأسندت رأسه وأخذت في طمأنة ابنتها لإخراجها من حالة الهلع التي انتابتها.

كانت الفترة الأخيرة قد جعلتها أكثر صلابة وقدرة على الاحتمال، فالفترة التي قضتها مع ابنتها في المستشفيات كانت كفيلة بإكسابها تلك القدرة، ولكن ما يحدث لزوجها كان أكبر من قدرتها على التحمل، كانت تريد أن تبكي وتصرخ ولكنها كانت مضطرة إلى التظاهر بالهدوء حتى لا تزيد من هلع ابنتهما المريضة.

وصلت سيارة الإسعاف بعد اثنتي عشرة دقيقة مرت عليها كدهر كامل، حملوا زوجها في سيارة الإسعاف بينما حملت ليندا ابنتها ولحقت بهم بالسيارة.

في الطريق إلى المستشفى اتصلت بوالدتها وقصت عليها ما حدث بصوت

مخنوق ودموع حبيسة.

وصلت إلى المستشفى وكانت سيارة الإسعاف قد سبقتهم، حملت ابنتها وهرعت إلى الداخل لتجد أمها وأختها الصغرى بانتظارها، حيث إنهم يسكنون على مقربة من المستشفى.

أخبرتها أمها أنهم أخذوا آدم إلى الداخل ويقومون بفحصه الآن، وسيوافيهم الطبيب بنتيجة الفحص بعد قليل.

بعد نصف ساعة مرت كدهر كامل على ليندا، جاءهم طبيب شاب ليخبرهم عن حالة زوجها باقتضاب موجها حديثه إلى ليندا:

– زوجك يعاني من سكتة دماغية على الأرجح.. لا نعرف سببها بعد.. قد تكون نتيجة إصابة في الرأس أو انفجار في تمدد شرايين المخ أو نزيف من عيوب خلقية بالأوعية الدموية.. هل عانى زوجك من صداع مفاجئ وقيء قبل الغيبوبة؟

– لا.

– حسنا إننا نقوم الآن بإجراء بعض التحاليل الطبية لمعرفة مستوى الدهون والكلسترول في الدم وقياس وظائف الدم وعوامل التجلط، وسنقوم أيضا بإجراء تحليل دم شامل، وإجراء أشعة مقطعية للمخ و..

قاطعته ليندا بصوت مبحوح:

– لقد قام بالفعل بإجراء أشعة مقطعية للمخ صباح اليوم بناءً على طلب دكتور مارك باركر.

– حسنا سأتحدث إليه وأرى إن كانت الأشعة بحوزته، ربما نحتاج إلى عمل أشعة رنين مغناطيسي على المخ وشرايين المخ وأشعة بالصبغة على شرايين المخ.

– حسنا، ما المتوقع أن يحدث لآدم؟ ومتى سيفيق من غيبوبته؟ وما تأثير ما حدث عليه مستقبلا؟

– لابد أولا من التأكد من أن سبب الغيبوبة هو نزيف داخلي بالمخ وتحديد حجم النزيف وموقعه وبعدها سيتم تحديد الطريقة المثلى للعلاج.

– حسنا دكتور، شكرا.

– على الرحب.

قالها وانصرف تاركا ليندا خلفه لا تقو على الوقوف.

* * *

02

كانت ليندا في حالة يُرثى لها، زوجها يرقد في المستشفى منذ يومين في غيبوبة عميقة وابنتها مصابة بالسرطان وتحتاج إلى رعاية مستمرة، بالإضافة إلى أنهم أصبحوا على حافة الإفلاس والديون تتراكم عليهم.

كان لديها موعد مع الطبيب المعالج لزوجها في تمام الرابعة مساءً،

ولذلك انتهت مبكرا من العلاج اليومي لابنتها جودي وأخـذتها وذهبـت إلى والدتها وتركتها هناك وذهبت إلى المستشفى سيرا على الأقدام.

كانت تشعر بالضياع، كان كل ما يحدث فوق طاقتهـا علـى الاحتمـال، لم تكن تدري ماذا تفعل وكانت تفكر في زوجها الراقد بغرفة العناية المركـزة بأسى.

نظرت إلى ساعتها لتكتشف أنه لا يزال أمامها خمس عشرة دقيقة قبل موعدها مع الطبيب لذا عرَّجت على كافتيريا المستشفى وأحضرت كوبا كبيرا من القهوة وتوجهت إلى غرفة العناية المركـزة حيـث يرقـد زوجهـا ووقفـت تراقبه من وراء الحاجز الزجاجي وهي ترتشف القهوة.

كان آدم لا يبدو واضحا من وراء الأجهزة والعقاقير المتصلة به، حاولت تغيير موضعها لتراه بشكل أفضل وشعرت لوهلـة أن يـده اليمنـى تـرتعش، دققت النظر وكانت على حق، كانت يده اليمنى ترتعش بالفعل.

أحـست بوجـود شـخص مـا خلفهـا فاسـتدارت مـسرعة لتجـد إحـدى الممرضات تقف خلفها، همت بإخبارهـا بمـا رأتـه ولكـن الممرضـة قاطعتهـا قائلة:

– مسز برايس، دكتور بينيت في انتظارك في مكتبه.

همت أن تقول لهـا أنهـا رأت زوجهـا يحـرك يـده ولكنهـا قـررت أن

تخبر الطبيب بذلك بدلا عنها، سارت خلف الممرضة وتركتها تقودها إلى مكتب د. بينيت حيث وجدته جالسا على مكتبه يطالع بعض التقارير الطبية.

رحب بها ودعاها للجلوس، وما أن جلست حتى قالت بلهفة واضحة:

- لقد كانت يده ترتعش.

- عفوا!

- آدم، زوجي لقد رأيت يده ترتعش منذ لحظات.

- حسنا، هذا ليس غريبا بل متوقعا كذلك، استمعي إليّ؛

بعد الفحص المبدئي لزوجك، شككنا في إصابته بنزيف داخلي بالمخ، لذا كنا بحاجة لإجراء بعض التحاليل وصور الأشعة.

لقد وجدنا أشعة مقطعية كان زوجك قد قام بها صباح نفس يوم سقوطه في الغيبوبة وكان ذلك مفيدا جدا لنا، وبعد فحصها تبين لنا وجود أثر قديم لنزيف نتج عن إصابة تبدو قديمة ويبدو أن هذا النزيف قد رشح قليلا لسبب ما لا نعرفه، لقد أعطيناه بعض العقاقير لإيقاف هذا النزيف وقد نجح الأمر ولم يعد هناك داع للتدخل الجراحي.

- جراحة؟

- نعم، كنا نستعد للتدخل الجراحي، ولكن حالة زوجك تحسنت

بشكل كبير.

– حسنا، ولماذا ما يزال في غيبوبة؟

– حالة زوجك الآن مستقرة بشكل كبير وإذا أردنا توخي الدقة فهو ليس في غيبوبة الآن، بل هو نائم.

– نائم!

– نعم نائم، وعلاماته الحيوية تشير إلى أنه يحلم كذلك.

* * *

03

غادرت ليندا المستشفي عائدة إلى بيت أمها.

كانت مشاعرها معقدة إلى حد كبير، كانت حزينة وغاضبة، حزينة على نفسها وعلى ابنتها المريضة وزوجها النائم وغاضبة عليه أيضا.

كانت تشعر أنه هجرها مثلما فعل والدها مع أمها عندما كانت في عمر ابنتها، لم تغفر لوالدها أبدا حتى عندما توفى وهي في السادسة عشرة من عمرها وتم إبلاغهم ليحضروا الجنازة كان رفضها قاطعا وعندما سألتها إحدى صديقاتها عن سبب رفضها حضور دفن أبيها قالت:

" لقد دفنته بالفعل يوم أن هجرنا "

كانت تائهة تماما وتمشي على غير هدى، كانت تريد أن تنفث غضبها في شيء ما قبل أن تعود إلى ابنتها، كانت مشاعرها تتأرجح بين الأسى على

حالة زوجها والحنق لأنه تركها وهيً في أمس الحاجة إليه.

بدأ الظلام ينتشر حولها بسرعة وأصبح الجو باردا، فوقفت وبدأت تنظر حولها لتعرف أين هي ولدهشتها وجدت نفسها بجانب المستشفى تماما، لقد كانت تسير في دوائر على ما يبدو، التفت لتأخذ الطريق المؤدي لبيت أمها ولم تمش سوى خطوات معدودة حتى رن هاتفها الخلوي.

أخرجته من حقيبتها متوقعة أن تجد رقم والدتها ولكن لدهشتها وجدت أنه رقم المستشفى، شعرت بخوف مبهم وتسارع نبضها بشدة وهي تجيب..

- مدام برايس؟

- نعم، أنا هي.

- نحن مستشفى أريزونا، أتصل لأخبرك أن زوجك قد أفاق من الغيبوبة ويتم نقله الآن لغرفة و..

قاطعتها بلهفة:

- أفاق، حسنا أنا قادمة حالا.

أغلقت تليفونها وهرعت إلى المستشفى وسألت في الاستقبال عن الغرفة التي تم نقل زوجها إليها وانطلقت إليها.

عندما دخلت الغرفة ورأته شعرت بالهلع، كان وجهه شاحبا وعيناه

زائغتين وينظر حوله بشيء من الخوف، هرعت إليه واحتضنته ولدهشتها كان يحتضنها بقوة، نظرت إلى وجهه فرأت تعبيراته مثل طفل تائه وجد أمه وارتمى في أحضانها.

– كيف حالك يا حبيبي، بماذا تشعر؟

– منذ متى وأنا هنا؟

– يومين.

– يومين! يومين فقط، لقد مرا عليّ كسنوات.

– لقد كنت تحلم يا حبيبي.

– لا أظنه مجرد حلم، متى يمكنني المغادرة؟

– لا أعلم، لم أستفسر بعد.

نظرت إليهما الممرضة الواقفة هناك منذ البداية وقالت لها:

– لقد قال الطبيب إنه سيظل تحت الملاحظة لمدة يومين ثم يمكنه الذهاب إذا كان كل شيء على ما يرام.

استدارت ليندا إلى آدم الذي لا يزال متمسكا بها كطفل تائه بالفعل وقالت له في حنان:

– يومان فقط يا عزيزي ونعود إلى البيت.

– حسنا ولكني أريدك أن تحضري لي دفترا وقلما قبل أن تغادري.

نظرت ليندا إلى المرضة متساءلة إن كان هذا مسموحًا به، فهمت المرضة نظرتها فقالت:

- لا بأس بذلك.

وأنهت وضع المحاليل وانصرفت بهدوء.

* * *

04

في اليوم التالي أخذت ليندا ابنتها جودي وذهبتا لزيارة آدم في موعد الزيارة الذي يستمر لمدة أربع ساعات.

دخلا عليه ليجداه منكبا على الكتابة بكل جوانحه حتى أنه لم يلحظهما إلا عندما أصبحا يقفان بجوار السرير تماما.

تهللت أساريره لرؤيتهما، وأزاح الدفتر جانبا ومد يديه ليحمل ابنته ويضمها إلى صدره ويقبلها بحنان واشتياق واضح، ثم أجلسها على قدمه اليسرى وأسندها على الجانب الأيسر من صدره والتفت إلى ليندا التي مالت نحوه وقبلته قبلة سريعة وجلست على مقعد بجوار فراشه وأخذت تراقبهم في صمت.

- حسنا يا حبيبتي، تعال واجلسي إلى جواري فأبوك متعب. قالتها ليندا

- لا. لا بأس، لقد أصبحتُ على ما يرام.

– هل زارك الطبيب هذا الصباح؟

– نعم لقد مرّ عليّ د. بينيت في الصباح الباكر وأخبرني أن كل شيء أصبح على ما يرام وفي الغالب سيسمح لي بالمغادرة في صباح الغد.

– هذا جيد يا عزيزي، هل تشعر حقا بأنك على ما يرام؟

– أنا بحالة ممتازة يا عزيزتي، لقد تذكرت كل شيء، في الواقع ربما أتذكر الآن أكثر مما ينبغي.

– ماذا تقصد؟

– سنتحدث لاحقا. قالها وهو ينظر بنظرة جانبية لابنته المستكينة في حضنه.

– هل يمكنني أن أسالك الآن ماذا تكتب؟ هل تستعد لروايتك الجديدة؟

– يمكنك أن تقولي هذا، أنا بالفعل أستعد لروايتي الجديدة.

– هل هي جيدة مثل الباقين؟

– أتمنى هذا.

قالها في غموض ثم غيَّر مجرى الحديث والتفت إلى جودي وسألها عن العلاج وهل تستمع إلى توجيهات أمها أم لا.

– كل شيء على ما يرام يا آدم، لقد كنت قلقة عليك.

قالتها جودي ببراءة.

- لا تقلقي يا حبيبتي، كل شيء سيصبح على ما يرام، وقريبا سنعوض كل ما فات.

بعدها بدأوا يتحدثون عن ذكريات قديمة ويضحكون بصوت عال إلى أن انتهى موعد الزيارة فقاما لينصرفا وقبل أن يغادرا التفتت إليه ليندا وقالت بسعادة حقيقية:

- أنا سعيدة حقا لتحسنك الواضح، وسعيدة أكثر لأنك تتذكر. وغمزت له وحملت جودي وانصرفت.

* * *

05

استندت ياسمينا برأسها إلى نافذة الطائرة، وأخذت تراقب خليج كاليفورنيا الممتد في الأسفل والطائرة تعبره بسرعتها الفائقة.

كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحا وبقيت ساعة حتى تصل أخيرا إلى مدينة تيخوانا المكسيكية حيث انتقلت للعمل بمستشفى للعلاج من السرطان بطرق غير تقليدية بعيدا عن العلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي.

كانت قادمة من كندا حيث تعمل كممرضة وتعيش هناك منذ أكثر من ست سنوات وبعد حصولها على الجنسية مباشرة قررت الانتقال إلى مكان

أكثر دفئا، أخبرتها إحدى صديقاتها عن هذه المستشفى فتحمست لها بشدة.

لقد مر عليها الكثير من مرضى السرطان خلال سنوات عملها كممرضة وكانت ترى كيف ينهش العلاج الكيمائي في أجسادهم الضعيفة وكانت تعرف أضراره بالتفصيل.

لذا فقد تحمست جدا لهذه المستشفى وتحدثت مرارا مع دكتور أنطونيو صاحب المستشفى ومديرها الذي شرح لها الخطوط العريضة لطريقتهم في العلاج ورحب بها كعضوة جديدة في مؤسستهم.

كانت كلما ركبت طائرة تنتابها مشاعر حزينة لأنها تتذكر تلك الليلة التي حملتها فيها الطائرة بعيدا عنه، تلك الليلة التي مر عليها ثمان سنوات ونصف ولازالت تتذكرها كأنها كانت بالأمس.

نفضت تلك الذكريات عن رأسها وأخذت تراقب المنظر خارج النافذة، كانت الطائرة قد تخطت خليج كاليفورنيا منذ فترة وتستعد للهبوط بمطار تيخوانا.

كان المحيط الهادئ يحد المدينة من الغرب ويفصل بينها وبين مدينة سان دييجو الأمريكية سور حديدي من جهة الشمال.

أنهت إجراءات الخروج بسرعة وخرجت إلى حيث تقع سيارات

الأجرة وأعطته عنوان الفندق واستقرت على المقعد الخلفي وتركت حقيبتها للسائق الذي وضعها في حقيبة السيارة وانطلق.

أخذت تتعرف على المدينة من نافذة السيارة، كانت الأمطار تهطل والجو بارد إلى حد ما فلا زال شهر فبراير في بدايته.

كانت قد قامت ببعض الأبحاث عن المدينة وعرفت أن المستشفى في منطقة تسمى **Playas de Tijuana** حيث إن بلايس باللغة الأسبانية تعني شواطئ والمستشفى تقع مباشرة على المحيط الهادئ.

بعد أربعين دقيقة وقف بها السائق أمام الفندق، أخذت حقيبتها وشكرته بأسبانيتها التي تعلمتها مؤخرا ودخلت من البوابة إلى حديقة الفندق.

لم يكن المكان فندقا بالمعنى الحقيقي، كان نزلا صغيرا عبارة عن مبنى صغير يتكون من اثنتى عشرة غرفة فقط وأمام المبنى يوجد حديقة صغيرة ولكنها جميلة تفصل المبنى عن غرفة متوسطة الحجم هي مكتب الإدارة ويوجد في الجانب الشمالي الغربي في نهاية الحديقة جناح من دور واحد يطل مباشرة على الحديقة.

كانت صاحبة الفندق في انتظارها ومعها طاقم الفندق كله المكون من سكريترة لا تتحدث سوى الأسبانية وعامل يتحدث الإنجليزية إلى حد ما.

رحبت بها صاحبة الفندق وهي امرأة في الثلاثينات وتـدعى أليخانـدرا تـوريس وتتحـدث الإنجليزيـة بطلاقـة وكانـت علـى علاقـة طيبـة بـإدارة المستشفى حيث إنها عادة ما تستضيف شخصا من أقارب المرضى في فندقها.

أخبرتها أن المستشفى على مقربة عشر دقائق مشيا علـى الأقـدام ولكـن سـائق المستـشفى ويـدعى جيـسوس سـيأتي ليأخـذها غـدا في تمـام الـسابعة صباحا.

أخـذها العامـل إلى غرفتهـا ورحـب بهـا مجـددا ووضـع حقيبتهـا وانصرف.

وقفت على الباب تتأمل الغرفة الفسيحة المستطيلة.

كان عرض الغرفة في حدود أربعة أمتار وطولها لا يقل عن التسعة أمطار وإلى يسارها يوجد مطبخ صغير مفتوح على الغرفة، وإلى يمينها يوجد منطقـة الجلوس التي تتكون من أريكة مريحة أمامها طاولة ثم مقعدان من نفس نـوع الأريكة وجهاز تلفاز معلّق بجوار النافذة العريضة، وفي الحائط المقابل للبـاب يوجد سرير عريض وفي نهاية الغرفة ناحية اليسار يوجد فجوة بعرض المـتر ونصف المتر، توجهت إليها فوجدتها تمتد بطول متريـن في نهايتهـا حـوض فوقه مرآة كبيرة وإلى اليمين الدولاب وإلى اليسار يقع الحمام.

أخذت حقيبتها وأفرغت ملابسها في الدولاب ودخلت الحمام لتـستحم

ثم تمددت على السرير وأغمضت عينها وراحت في سبات عميق.

* * *

06

فتحت ياسمينا عينيها فجأة شاعرة بالجوع، ظلت مستلقية على ظهرها وعيناها مثبتة على السقف وبعد عدة دقائق بدأت تستعيد تركيزها وتتعرف على الغرفة.

قامت ببطء شاعرة بدوار خفيف من أثر رحلة الطيران الطويلة وربما بسبب الجوع.

غسلت وجهها مرارا ثم نظرت في الساعة لتجدها قد تجاوزت الرابعة بعدة دقائق، سارت نحو النافذة التي تحتل الجانب الأيمن من الغرفة بالكامل، أزاحت الستائر فوجئت بالمحيط يبدو واضحا على مسافة ليست بعيدة، كانت الأمطار قد توقفت منذ مدة فيما يبدو والسماء صافية تماما.

أشعرها منظر المحيط والسماء الصافية بنشاط مفاجئ فارتدت ملابسها على عجل وأخذت تليفونها وخرجت إلى الشارع.

وقفت أمام الباب الخارجي للفندق لا تعرف أي اتجاه عليها أن تسلكه، كان الفندق في شارع جانبي وعليها الاختيار بين الاتجاه يمينا أو يسارا، تذكرت أنها شاهدت المحيط من غرفتها وبما أن غرفتها تقع على يسارها إذن فعليها أن تتجه إلى اليمين.

سارت لتفاجأ أن الشارع ليس مستقيما ويدور منحنيا تجاه اليسار كلما تقدمت أكثر إلى أن انتهى بها في شارع رئيسي عريض فوقفت متحيرة مرة أخرى.

قررت أن تتجه يمينا وبدأت في السير متمهلة وهي تحاول أن تحفظ الطريق حتى تستطيع العودة إلى الفندق.

بعد خمس عشرة دقيقة من السير المتردد وجدت المحيط أمامها مباشرة، اجتازت الشارع ووقفت تنظر إلى المحيط القابع في الأسفل بينها وبينه أكثر من ثلاثين درجة من السلالم.

كان هناك متجر **7 eleven** الشهير بجوار السلم مباشرة، تذكرت الجوع الذي أيقظها من النوم فدلفت إلى المتجر وابتاعت شطيرة وكوبا ضخما من القهوة الأمريكية ونزلت السلم وجلست على مصطبة من مصاطبه المعدة للجلوس وأخذت تأكل وهي تراقب المحيط والشمس في طريقها إلى المغيب.

أخذت ترتشف القهوة بتلذذ، كانت قد توقفت عن التدخين منذ سنوات ولكنها شعرت بحاجة ماسة إلى التدخين ولكنها تماسكت وشربت ما تبقى من القهوة في رشفة واحدة طويلة ثم قامت ونزلت بقية الدرج حتى وصلت إلى الممر الخشبي المعد للمشي في كنف أكبر محيطات الكوكب.

سارت قليلا ثم استندت إلى السور الخشبي الذي يفصلها عن رمال

الشاطئ وأخذت تتطلع إلى غروب الشمس الوشيك، وفجأة قفز إلى تفكيرها، كان سيحب هذا المنظر بالتأكيد، هكذا تمتمت بصوت غير مسموع وظلت تفكر فيه وهي تراقب الشمس إلى أن اختفت تماما كأنها قد غطست في مياه المحيط العميقة.

بعد أن ساد الظلام، سارت قليلا في الممر الخشبي ثم وجدت سلما أخر يقود إلى الشارع بالأعلى، صعدت منه إلى الشارع لتجد المستشفى أمامها مباشرة عبر الشارع.

كانت تعرف شكل المبنى من دليل المستشفى الذي أرسله لها دكتور توني عبر البريد الإلكتروني، كان المبنى صغيرا ويبدوا في الواقع أصغر من الصورة، له بوابة زجاجية عرضها ثلاثة أمتار مكتوب عليها اسم المستشفى بخط متوسط الحجم **Hope For Cancer Institute**

وقفت قليلا تتأمل المستشفى عبر الشارع ثم قررت أن ترحل قبل أن يراها أحدهم..

عادت من نفس الطريق الذي جاءت منه إلى أن وصلت إلى مدخل الشارع حيث يقع الفندق، كان التعرف على الشارع سهلا حيث توجد كنيسة صغيرة بالقرب من مدخله.

بدلا من أن تدخل إلى الشارع، قررت أن تسير قليلا لتكتشف الشارع

الرئيسي، ما أن بدأت السير حتى وجدت فرعًا من فروع ستارباكس على الجانب الآخر من الطريق.

استمرت في المشي حتى وجدت مطعم كارلز للوجبات السريعة وبعده بمائة متر تقريبا وجدت مطعم كنتاكي الشهير ويوجد خلفه موقف سيارات ضخم وفي نهايته يوجد مركزًا تجاريًّا كبيرًا من طابق واحد.

عبرت الطريق وسارت عبر موقف السيارات حتى وصلت إلى المركز التجاري، أخذت تسير بين المحلات بلا هدف حتى وجدت مدخلاً لسوبر ماركت يحتل مساحة كبيرة من المركز التجاري، تذكرت أن غرفتها خالية من الطعام والمياه فاشترت بعض الاحتياجات الضرورية.

في طريق العودة اكتشفت أن الشارع الذي يقع به الفندق له مدخل آخر من نفس الشارع الرئيسي، وهذا المدخل أقرب إلى الفندق من المدخل الآخر، شعرت بسعادة لهذا الاكتشاف.

جلست في غرفتها، فتحت التلفاز وأخذت تقلب بين القنوات المحلية، كان سيلا من الأسبانية أكبر من قدراتها المحدودة على الفهم، كانت كلمة تضيع من منتصف الجملة فيضيع المعنى.

شعرت بالإرهاق من التركيز وبالملل أيضا فأغلقت التلفاز وفتحت جهاز الكمبيوتر الخاص بها وقررت أن تتفقد بريدها الإلكتروني.

لم يكن هناك شيء هام في البريد، كان نظرها موجها إلى الشاشة ولكن عقلها كان في مكان آخر، تذكرت تلك الرسالة التي أرسلتها إليه في منتصف شهر يونيو من عام 2006، لا زالت تذكر اليوم جيدا، في ذلك اليوم تم الموافقة أخيرا على طلب الهجرة الذي تقدمت له منذ ما يزيد عن العام، وما أن تلقت الخبر حتى قفز حازم إلى تفكيرها.

كانت علاقتهما مليئة بالصعاب وبعد تفكير عميق وجدت أن الفراق محتوم وإن لم يحدث الآن سيحدث مستقبلا، فقررت الابتعاد دون أي كلام أو توضيحات، اختفت فجأة ودون مقدمات، وكم كانت رسائله تعصر قلبها ولكنها أصرت على قرارها رغم حالات الضعف والندم التي كثيرا ما كانت تنتابها.

كانت حالتها النفسية سيئة وحالتها المادية أيضا وفي ليلة ما وهي راقدة على فراشها، عاجزة عن النوم جاءتها فكرة الهجرة، وبعد شهر كانت قد قدمت طلب الهجرة إلى كندا.

يوم أن جاءتها الموافقة، كانت مشاعرها مختلطة، شعرت بسعادة لأول وهلة ولكنها لم تلبث أن شعرت بحزن عميق لم تدر سببه، وتذكرته وقررت أن تكتب له وتخبره بكل شيء وتخبره أنها في طريقها إلى الهجرة وترى ماذا سيكون رده.

لم يأتها الرد أبدا، كانت تقضي معظم يومها جالسة أمام بريدها الإلكتروني تنتظر رسالته دون جدوى.

أجّلت موعد سفرها مرتين في انتظار رسالته ولكن دون جدوى، تبدلت مشاعرها إلى الغضب فحجزت في أول طائرة وسافرت قبل أن تزول فورة غضبها.

تنهدت بأسى وأغلقت جهاز الكمبيوتر وخلدت إلى النوم.

* * *

07

استيقظت ياسمينا في تمام السادسة صباحا، كانت غارقة في نوم عميق وفجأة فتحت عينيها شاعرة أنها أخذت كفايتها من النوم.

بعد أن أكلت إفطارا سريعا، بدلت ملابسها سريعا، ووضعت في حقيبتها ما قد تحتاجه خلال يومها الأول في العمل. كانت تريد أن تحضر كوبا من الكابتشينو من ستارباكس قبل أن يأتي سائق المستشفى ليقلّها إلى هناك.

كان لا يزال أمامها 20 دقيقة قبل السابعة، فأسرعت الخطى إلى مقهى ستارباكس الذي لا يبتعد عن الفندق سوى دقائق معدودة، أحضرت الكابتشينو وعادت مسرعة إلى الفندق وجلست في حديقة الفندق في انتظار السائق.

لم تنتظر طويلا، لم تكد تجلس سوى دقيقتين حتى وجدت رجلاً في الخمسين من عمره يدلف عبر باب الفندق الخشبي الذي تركته مفتوحا عن عمد حتى تسمح له بالدخول، كان الرجل ذا ملامح لاتينية وبشرة بيضاء، ممتلأً قليلا ويبدو معتدا بنفسه كثيرا.

نظر إليها مترددا، فسألته بثقة: – أنت جيسوس، أليس كذلك؟

– نعم أنا هو، لابد أنك جاسمين.

– في الواقع اسمي هو ياسمينا وليس جاسمين.

– عذرا، أنا..

قاطعته قائلة: – لا عليك، أنا جاهزة للذهاب.

قادها إلى سيارة المستشفى الكبيرة، الفورد ذات الدفع الرباعي، وجلست إلى جواره وانطلق بها إلى المستشفى.

لم تستغرق الرحلة سوى ثلاث دقائق، وتوقف بها أمام المستشفى، وقادها إلى الداخل عبر البوابة الزجاجية التي وقفت أمامها الليلة الماضية.

دخلت من البوابة لتجد نفسها في مكان ضيق في عرض البوابة وبطول خمسة أمتار وفي نهايته توجد درجتان تقود إلى مكان يبدو مكشوفا إلى السماء لأن ضوء النهار واضح فيه بشدة وبعد هذا الجزء المكشوف الذي لا يزيد عرضه عن أربعة أمتار يوجد سلم يصعد إلى الأعلى وبجواره يوجد باب

صغير يبدو من خلاله قلب المستشفى.

كان هناك مكتب استقبال كبير يحتل نصف مساحة هذا المكان الصغير أمام البوابة جهة اليسار ويوجد أمامه ممر صغير بجواره لوحة كتب عليها " الإدارة " باللغة الإنجليزية.

قادها السائق إلى هذا المر لتجد في نهايته غرفة صغيرة ناحية اليمين وغرفة أصغر ناحية اليسار، أشار إليها إلى الغرفة التي تشغل الجانب الأيمن وما أن وصلت إلى بابها حتى فوجئت بسيدة ممتلئة في الخمسين من عمرها تقريبا، سمراء البشرة وشعرها مصبوغ باللون الأحمر.

قامت السيدة على الفور من خلف مكتبها مرحبة بها بينما انسحب جيسوس دون أن تشعر به.

– مرحبا بك في المكسيك عزيزتي جاسمين، أنا ألما المسئولة عن الإدارة والحسابات هنا.

قالتها السيدة وهي تبتسم ابتسامة عريضة.

– شكرا لك، ولكن اسمي هو ياسمينا وليس جاسمين.

نظرت ألما إلى الأوراق أمامها وقالت: – إن اسمك يبدأ بحرف الجاي، أليس كذلك؟

– بلى، ولكننا ننطقه ياء من حيث أتيت.

– آه فهمت، أنت يوغسلافية، أليس كذلك؟

– في الواقع أنا صربية، ولكني كندية الآن أيضا.

– حسنا ياسمينا، هل تعلمين أنه إذا نطقت اسمك بالأسبانية سيصبح خاسمينا؟

– سيكون هذا مضحكا.

– حسنا، لننتقل إلى العمل.

أخذت ألما تحدثها عن نظام العمل بالعيادة، من جهة المواعيد والراتب والأمور المالية، وبعد أن غطت كل الجوانب التي يجب مناقشتها أخذتها في جولة في العيادة لتكتشف ياسمينا أن العيادة أكبر مما خُيِّل إليها ويبدو أن العيادة كانت تشتري البيوت المحيطة بها وتضمها إلى مساحتها لعدم انتظام المساحة الداخلية للمستشفى على الإطلاق.

كان هناك اثنتا عشرة غرفة خاصة بالمرضى، كل غرفة تتسع للمريض والمرافق له ومجهزة بالأجهزة الخاصة بالعلاج.

وهناك العديد من الغرف في الطابق الأرضي خاصة بتقديم الأنواع المختلفة من العلاج وغرفة للممرضات حيث يقومون بإعداد الأدوية المختلفة، وغرفتان ساونا، وجاكوزي!

بالإضافة إلى منطقة جلوس فسيحة بها مطبخ مفتوح به فاكهة وعصائر

وبعض المشروبات الساخنة، وكان هناك تلفاز كبير الحجم وأرائك مريحة ومنضدة مستديرة ومكتبة صغيرة.

بعد أن انتهت من الجولة أخبرتها ألما أن دكتور توني سيصل خلال دقائق وقادتها إلى غرفة مكتبه.

لم يطل انتظارها، فبعد خمس دقائق فتح الباب ودخل دكتور توني، كان يشبه صورته تماما، في بداية الأربعينات، طويل القامة، أسمر البشرة، وملامحه لاتينية.

رحب بها بحرارة، وجلس على الكرسي المقابل لها وسألها باهتمام عن رحلتها وعن الفندق وعن رأيها في العيادة.

كان يتحدث بإنجليزية ممتازة، وبلهجة أمريكية واضحة، كان أبوه كولومبيا وأمه أمريكية وقد عاش في أمريكا منذ طفولته ويسكن الأن مع زوجته وأولاده في مدينة سان دييجو.

كان ودودا بطريقة مدهشة

قادها إلى غرفة المحاضرات، وهي غرفة متوسطة الحجم بها شاشة عرض تعمل عن طريق مسلاط (**Projector**) وأمام الشاشة يوجد عدد من المقاعد.

أشار إليها لتجلس وبدأ يشرح لها بالتفصيل كل ما يتعلق بمرض

السرطان وطرق العلاج المتبعة في عيادته.

كانت محاضرة طويلة اقتربت من الأربع ساعات حصلوا خلالها فقط على خمس دقائق راحة شرب هو خلالها عصير أخضر غريب الشكل يعدوه في المستشفى وطلبت هي نسكافيه.

في نهاية المحاضرة بدأ يعرض لها صور المرضى الذين تم شفاؤهم تماما في العيادة تلاها بعرض صور المرضى الحاليين المتواجدين في المستشفى أو من يكملون علاجهم منزليا مع نبذة عن كل مريض تشمل اسمه ونوع السرطان الذي يعالج منه ودرجة التقدم وبالطبع سنه وبلده.

كان المرضى من بلدان مختلفة، من بريطانيا وأمريكا ودبي وكندا، وأخبرها دكتور توني أنهم تأتيهم بعض الحالات من مصر أيضا.

مصر! شعرت بقشعريرة فور سماعها للبلد ولكنها تمالكت نفسها وسألته عن الطفلة التي تسمى جودي لأنها هي الطفلة الوحيدة في المجموعة التي شاهدتها توا.

أخبرها عن الحالة باستفاضة وأخبرها أن المستشفى يأتيها أطفال مرضى من حين إلى آخر، ثم حكى لها أن ابنة زوجته كانت مصابة بالسرطان وقد قام بعلاجها في العيادة منذ أربع عشرة سنة قبل أن يتزوج من أمها لاحقا.

بعد المحاضرة الطويلة أخذها في جولة إلى غرف المرضى، كان يعامل المرضى ومرافقيهم بحميمية واضحة.

بعدها أخبرها أن يومها الأول قد انتهى ويمكنها الانصراف على أن تسلّم نفسها من صباح اليوم التالي إلى هومبرتا نيغريتي، كبيرة الممرضات.

شكرته وانصرفت شاعرة بالدوار..

الفصل الخامس

01

في ذلك الوقت وعلى بعد 700 كم تقريبا، كان آدم جالسا علـى فراشـه تبعا للتعليمات الصارمة لزوجته.

كانـت جـودي جالـسة إلى جـواره، وتـستند إلى جانبـه الأيمـن بينمـا أحاطها بذراعه.

كان رأسه مشغولا بالكثير من الأمور

أثناء غيبوبته الأخيرة، عادت له ذاكرته بشكل كامل

لقد أخبرته ليندا أن الأطباء قالوا إنه كان يحلـم، هـل كـان هـذا حلمـا حقا!

لقد بدأ الحلم – لو كان حلمـا – في غرفـة حـازم وتعـرّف علـى حالتـه السيئة نتيجة الحادث الذي تعرض له بـسببه هـو، وبعـد أن بقـي يـشاهده لبعض الوقت اختفى كل شيء وبدأ يشاهد حياته كآدم بالتفصيل منذ أن كـان طفلا، عندما ماتت والدته، إنهاء المدرسة الثانوية، سفره لمصر برفقة أبيـه، كيف كان يكره هذه الرحلة كثيرا في البداية، وكيف أحب مصر وتعلـق بهـا فيما بعد، تذكر دراسته، مشاحناته مع أبيه، تسكعه مع أصدقاء الجامعـة،

وأخيرا كيف التقى بحازم.

كان هذا الجزء الخاص بلقائه بحازم يتذكره كحازم ويتذكره كآدم.

كان حازم قد قضى أسبوعين في عمله، وفي الثالثة فجرا جاءته مكالمة أخيه ليخبره بوفاة أبيه، بعدها بعشر دقائق كان حازم على الطريق يحاول أن يجد من يقله، وبعد ما يقرب من الساعة وقف له آدم بسيارته.

كان آدم يقضي بضعة أيام في الساحل الشمالي مع أصدقاء له في شاليه أحدهم عندما شعر بملل مفاجئ قرر على أثره الذهاب إلى الإسكندرية التي كان يعشقها خاصة عندما لا تكون مزدحمة بالمصطافين في فصل الصيف.

وهو في الطريق وجد حازمًا واقفا على جانب الطريق يشير إليه بيأس ورجاء، توقف له، حكى قصته بكلمات متعثرة، أدخله سيارته بعد أن قرر أن يقله حتى بيته.

وجاء الحادث لينهي كل هذا.

بعد أن أفاق في المستشفى، لم يكن يتذكر شيئا على الإطلاق وبالتأكيد لم يذكر شيئا عن حازم إلى أن بدأت الأحلام تأتيه في الفترة الأخيرة.

كان يتساءل " هل قام ذلك الحادث بربط عقليهما بطريقة ما؟ " حقا لا يعلم.

انتبه إلى أن ابنته ساكنة منذ فترة فنظر إليها ليجدها قد غفت، فوضعها على السرير برفق ونزل إلى زوجته.

كانت ليندا مشغولة بأعمال المنزل عندما رأته، نظرت له نظرة غاضبة وقالت:

– ألم أخبرك ألا تبارح الفراش؟! وأين جودي؟

– نائمة. ولن أقضي ما تبقى لي من عمر في الفراش يا عزيزتي، أعلم أنك قلقة، ولكن اطمئني أنا حقا بخير، ولن أرهق نفسي، أعدك.

– حسنا، لقد انتهيت من أعمال المنزل، هل تريد أن تأكل شيئا ما؟

– لا شكرا، أريد فقط كوبا من القهوة رجاءً.

–حسنا، اجلس وسأحضره لك.

جلس على الأريكة إلى أن جاءته بالقهوة، بدأ يرتشف قهوته في صمت، إلى أن باغتته بالسؤال:

– هل عرفت من هو حازم؟

نظر إليها نظرة شاردة، ثم قال:

– حسنا سأحكي لك كل شيء.

وبدأ يروي لها حكاية حازم التي يعرفها..

ظل آدم طوال ساعتين يقص على مسامع ليندا ما يعرفه عن حازم، أخبرها عن حياته، أسرته، دراسته، وأخبرها عن ياسمينا وكيف بعد أن عادت إلى وطنها بعدة شهور توقفت عن مراسلته، ولم تعد تجيب على

هاتفها، وتجاهلت رساءله.

وصف لها حالة حازم بعد اختفائها المفاجئ وكيف أصبح على حافة الجنون وكيف استطاع المضي قدما في حياته بعدها، ثم أخبرها كيف التقى به وروى لها الحادث الذي تعرضا له بالتفصيل.

بعدها وصف لها الحالة التي وجده عليها من أثر الحادث، ثم أردف:

– هذا الجزء رأيته أثناء غيبوبتي الأخيرة، أو حلمي أيّا ما يكن.

– ولكن هذا غير منطقي يا عزيزي، لا يمكن لأحد أن يرى حياة شخص آخر بهذه الدقة.. ألم تفكر أن يكون كل هذا من خيالك، أضغاث أحلام ليس أكثر ولا علاقة لها بالحقيقة.

– ولكنني أتذكر حازم جيدا، لقد كان معي في حادث السيارة.

– أنا لا أشكك في هذا، ربما شعرت بالذنب تجاهه نتيجة للحادث واختلق عقلك الباطن كل هذا، في النهاية هذه مجرد أحلام ولا يمكنك أن تأخذها على محمل الجد.

– ربما تكونين على حق، وإن كنت أرى هذه الأحلام بوضوح لا علاقة له بضبابية الأحلام، ربما يكون الحادث قد ربط بين عقلينا بطريقة ما، ولكن من يدري، على أي حال يمكننا التّأكد من ذلك.

– وكيف هذا؟!

– سأرسل له رسالة عبر بريده الإلكتروني الذي أعرفه جيدا عندما كنت أملك ذاكرته ونرى ما سيحدث.

–! أنت تعلم بريده الإلكتروني؟

– وأعلم كلمة المرور كذلك، ولكنه بالتأكيد قام بتغييرها خلال تلك السنوات، كل ما أرجوه أن يكون لايزال يستخدم هذا البريد.

– حسنا، ولكني أريدك أن تعدني بشئ.

– ما هو؟

– إذا لم تتلق ردا على رسالتك، أريدك أن تنسى كل ما يتعلق بهذا الشخص، وتنتبه إلينا وإلى حياتنا.

– حسنا، أعدك بذلك.

– سأحضر لك جهاز الكمبيوتر ولترسل له هذه الرسالة وننتهى من الأمر.

أحضرت له جهاز الكمبيوتر المحمول وقامت بتشغيله بينما كان هو يفكر في محتوى الرسالة التي يجب إرسالها له والموضوع الأمثل لجذب انتباهه لقراءة الرسالة، وفي النهاية كانت الرسالة كالتالي:

الموضوع: بخصوص الحادث القديم

الرسالة: "عزيزى حازم، ربما تجد أن هذه الرسالة تحمل لك الكثير

من الدهشة، هل تذكر الشاب الأمريكي الذي توقف لك منذ ما يقرب من سبع سنوات على جانب الطريق وبدلا من أن يقودك إلى منزلك قادك إلى حادث أليم

لقد كنتُ أنا هذا الشاب، اسمي آدم، وأرسل لك هذه الرسالة على أمل أنك لا تزال تستخدم هذا البريد لأنه هناك الكثير من الأشياء التي أود مشاركتها معك.

أتمنى أن يأتيني ردك سريعا

تحياتي "

ثم أرسل الرسالة ولم يعد هناك شيء ليفعله سوى الانتظار..

* * *

02

طوال أسبوع ظل آدم ينتظر رد حازم بشغف، كان يتفقد بريده عدة مرات في اليوم، ولكن الرد لم يأت.

كان مشغولا إلى حد ما، كان يكتب روايته الجديدة ويريد أن ينهيها في أقرب وقت ممكن للخروج من أزمته المالية الطاحنة.

في البداية كان يريد أن يكتب عن حازم، ولكنها بدت له قصة غير مكتملة فأرجأها إلى وقت آخر وبدأ في كتابة رواية مغامرات، رواية تجارية كما تفضل حماته.

وكانت جودي ليست على ما يرام، كانت تذبل ولا تأكل تقريبا، وحالتها النفسية في منتهى السوء.

كان يحاول جاهدا أن يخرجها من حالة الاكتئاب التي تسيطر عليها ولكنه فشل مرارا وإن لم يتوقف عن المحاولة.

كان يتساءل بينه وبين نفسه كيف لطفلة أن تشعر بالاكتئاب ثم يتذكر ما مر بها خلال العامين السابقين فيتفهم اكتئابها.

كانت طفلة ذكية، وعقلها أكبر كثيرا من سنها، وزادتها سنوات المرض اللعين نضجا.

كانوا على اتصال دائم بمستشفى المكسيك، وبعد مناقشات بينهم وبين دكتور توني والطبيب المسئول عن علاجها في السابق اتفقوا أن يعطوها دواءً كيميائيًّا مخففًا يُأخذ عن طريق الفم بجانب العلاج الحالي الذي بدأته في المكسيك.

بدأوا في برنامج علاج طبيعي لقدمها مرة أخرى، عسى أن تستطيع المشي مجددا في وقت قريب، في محاولة لإخراجها من حالتها النفسية السيئة.

كان يراقب حالة ابنته في قلق، ويتظاهر أمامها وأمام زوجته بالتفاؤل، كان يحاول جاهدا أن يبث فيهما روح التفاؤل، وكثيرا ما كان

يلوم ليندا عندما كانت تبدي قلقها أمام جودي.

كان دائما ما يقول لزوجته أن جودي ستُشفى وستصبح في حالة ممتـازة والأمر مجرد مسألة وقت ليس إلاّ.

كان يجد سلواه الوحيدة في الكتابة، كانت الكتابة تنقله إلى عـالم آخـر موازي يخلقه بنفسه بعيدا عن العالم الكريه الـذي يحيـاه، لـذا انكـب علـى الكتابـة بطريقـة غـير مـسبوقة، محـاولا أن يعـيش في عالمـه المـوازي ولـو لساعات.

في ظل هذه الظروف، لم يعد موضوع حازم يشغله كثيرا كما كان يشغله في السابق.

كان يقضي يومه بـين الكتابـة والتـسرية عـن ابنتـه، وكانـت الأجـواء متوترة في المنزل جراء تدهور حالة جودي وإن أخفى الزوجان حالـة التـوتر تلك قدر المستطاع.

في بعض الأحيان يفقدان السيطرة على حالة التوتر فينفجران في وجـه أحدهم الآخر لأسباب تافهـة، كانـا متعـبين ومجهـدين لأقـصى درجـة مـن كتمان توترهما وقلقهما.

كان آدم عادة ما يحتاج إلى ستة أشهر لكتابة رواية جديدة في الظـروف الطبيعية، ولكن في ظل هذه الظـروف الخاصـة ورفـض جـودي الخـروج مـن

المنزل، كان يكتب بشكل مكثف.

ومع انتهاء شهر فبراير كان قد انتهى من كتابة نصف الرواية تقريبا.

* * *

03

مر شهر فبراير على ياسمينا بطيئا جدا ومرهقا.

كانت تعمل اثنتى عشرة ساعة يوميا لمدة ستة أيام في الأسبوع وكان هذا مرهقا، وما زاد الأمر سوءًا أنها اضطرت إلى الانتقال إلى شقة صغيرة في المدينة بعيدا عن المستشفى لارتفاع الأسعار بالمنطقة المحيطة بالمستشفى وبالطبع ليس بإمكانها السكن في الفندق بشكل دائم.

كانت تحتاج لساعتين يوميا في المواصلات للذهاب والعودة من المستشفى وبذلك لم يعد لديها وقت لفعل أي شيء آخر.

في يوم الجمعة الأول من مارس، يوم عطلتها الأسبوعية، تناولت غذاءها بإحدى المطاعم الإيطالية المجاورة للشاطئ، ثم أحضرت كوبا من القهوة من متجر eleven7 وجلست على المقاعد المطلة على المحيط وأخذت تتأمل المحيط ورمال الشاطئ والشمس وهي تتجه نحو المغيب وتذكرت لقاءها الأول مع حازم؛

كانت في زيارتها الأولى والأخيرة إلى القاهرة في نهاية شهر يوليو من عام 2004 مع صديقة لها.

وصلتا الفندق فجرا وبعد يوم كامل بلا نوم، خلدتا إلى النوم حتى وقت متأخر ولكن صديقتها كانت كسولة جدا ولم تتهيأ للخروج قبل الخامسة مساءً.

تناولتا طعامهما بأحد المطاعم وسارا يكتشفان المنطقة، مرا بنهر النيل وتمشيا قليلا ثم عادا إلى الفندق.

لم تحب المكان، كانت تتوقع أن تكون القاهرة أكثر نظافة من ذلك، ولكنها فوجئت بالقاذورات في الشوارع وازدحام الشوارع بالناس والسيارات بطريقة مبالغ فيها، بالإضافة إلى تعرضهم للكثير من المضايقات ومحاولات التحرش.

في اليوم التالي استيقظت مبكرا لتجد صديقتها غارقة في نوم عميق، تركتها نائمة وقررت أن تتفقد المدينة بمفردها.

بدأت في التسكع في المنطقة المحيطة بالفندق ثم ما لبثت أن ابتعدت حتى عبرت نهر النيل وتعمقت في منطقة وسط البلد.

كان زحام السيارات مرعبا، فابتعدت عن الشوارع الرئيسية مفضلة عليها الشوارع الجانبية الأقل ازدحاما إلى أن شعرت بالتعب فقررت الجلوس على المقهى الصغير الذي ظهر فجأة أمامها في الممر الذي كانت تسير فيه.

كان المقهى صغيرا وبلا رواد سوى شاب يجلس وحيدا ومستغرقا في قراءة الجريدة وأمامه كوب ضخم من القهوة التركي، نظر إليها نظرة عابرة ثم عاد مجددا إلى جريدته.

جاءها النادل مبتسما بارتباك، باللغة الإنجليزية طلبت منه كوبا من القهوة التركي، ظل واقفا وعلى وجهة حيرة واضحة وعدم فهم فسألته بكلمات بطيئة:

- هل تتحدث الإنجليزية؟

أجابها بارتباك وبإنجليزية مهشمة تماما:

- لا.. إنجليزي.. لا

لم تدر ماذا تفعل وهمت بالمغادرة.

نظرت إلى الشاب فوجدته يبتسم في سخرية، شعرت بالغضب وهمت بلومه ولكنها فوجئت به يتحدث مع النادل بالعربية، غادر النادل بعدها إلى الداخل مبتسما، نظرت إلى الشاب وقالت بلهجة جافة:

- ماذا قلت له؟

أزاح الجريدة جانبا ونظر إليها مليا، ثم ابتسم وقال: - أخبرته أن يأتيني بكوب آخر من القهوة.

فغرت فاها في دهشة وقالت بصوت خافت: - ظننتك أخبرته بما

أريد!

ابتسم ابتسامة كبيرة وقال: أنا أمزح، لقد أخبرته بالفعل أن يأتيك بالقهوة.

- حسنا شكرا لك.

- على الرحب.

لحظات وجاءها النادل بالقهوة، أخذت ترتشفها ببطء وهي تراقب بفضول الشاب الذي عاد مجددا ليغرق في جريدته متجاهلا إياها تماما.

" يا له من أحمق " قالتها في رأسها مغتاظة من تجاهله إياها بهذا الشكل.

أنهت قهوتها وأعطت النادل النقود التي أشار إليها بأصابعه وهمت بالمغادرة.

كانت غاضبة بطريقة أثارت دهشتها، لماذا تهتم بأمر هذا الأحمق الذي تجاهلها تماما، هل انجذبت إليه، ربما.

كانت عيناه فيهما شيء ما لا تدري كنهه ولكنهما جذباها فعلا.

أزاحته عن تفكيرها، وبدأت تلملم أشياءها المبعثرة على الطاولة استعدادا للمغادرة.

شعرت بالحنق تجاه صديقتها الكسولة التي لم تستيقظ بعد، كانت

تأمل أن تذهب إلى المتحف المصري وبعدها يمكنهما الذهاب إلى خان الخليلي كما نصحهم بعض الأصدقاء.

ولكن ها هي الساعة قد تخطت الحادية عشرة ولاتـزال صـديقتها تغـط في نومها العميق.

– ألا تريدين ارتشاف كوب آخر من القهوة، أو ربما شيء آخر.

جاءها الصوت من خلفها وهي تتجه إلى خارج المقهى، التفتت فوجدت الشاب واقفا ويبدو عليه الارتباك.

– لماذا أنت مرتبك هكذا.

ابتسم بإحراج وقال:

– هل هذا باديا بوضوح؟

ضحكت وتقدمت لتجلس معه على الطاولة وسألته:

– حسنا، أخبرني ما قائمة المشروبات بهذا المكان؟

ذهب عنه ارتباكه وبدءا في الحديث الذي استمر عدة ساعات.

حدثها عن نفسه وعن دراسته وعن هواياته وكذلك فعلت هي.

شعرا بألفة غير عادية تجاه أحدهما الآخر، كانت الكلمات تخرج مـن فمهما بسهولة، وكلٌّ منهما يخبر الآخـر أدق أسـراره دون تفكـير وكأنـهمـا يعرفان بعضهما البعض منذ الأزل.

نسيت كل شيء عن صديقتها.

كان انسجام روحيهما واضحا، كانا قبل أن يلتقيا ينقصهما شيء ما وعندما التقيا شعرا بالاكتمال للمرة الأولى.

وهكذا التقيا ولم يتفرقا حتى ودعته في المطار لتلحق بطائرتها.

كان حلما جميلا استمر عدة أيام.

كل لحظة كانت تمر عليهما كانا متيقنان من أنهما خلقا لبعضهما، وأن القدر قد جمعهما بهذه المصادفة ليتعرف كلٌّ منهما على نصفه الآخر.

وانتهى الحلم سريعا وحانت لحظة الوداع، وكانت آخر مرة تراه عندما التفتت إليه مودعة بعد أن عبرت بوابة الدخول بالمطار لتلحق بطائرتها.

وبعد التواصل معه عبر الإنترنت لأربعة أشهر قررت الاختفاء على أمل أن تنساه وينساها بعد فترة وجيزة.

وها هي السنوات تمر عاما بعد عام ولم تنجح بعد في نسيانه، ربما فعل هو وربما لم يفعل.

أفاقت من شرودها، لتجد الظلام قد حل منذ مدة، فقامت لتأخذ طريق عودتها إلى الشقة لتستعد لأسبوع آخر من العمل المضني.

* * *

04

استمر آدم في نفس الروتين.

استمرا هو ليندا في تقديم العلاج لابنتهما التي ازدادت حالتها سوءًا يوما بعد يوم.

بالرغم من محاولاتهما المضنية لم ينجحا في جعلها تأكل بصورة طبيعية، كانت تكتفي بلقيمات لا تسد رمق طفل رضيع.

ازدادت نحولا إلى حد مخيف، وازدادت اكتئابا

حتى عندما كانت توافق على الخروج، كان الاكتئاب ملازما لها، وربما يزداد.

أصبحت ليندا عصبية جدا وكذلك آدم.

كانا يصرخان في وجه بعضهما البعض كثيرا، وغالبا أمام ابنتهما، بعدها يترك آدم البيت ويخرج إلى لا مكان.

بدأ آدم يدخن، كان عندما يغادر المنزل عادة ما يسير في الشوارع ويدخن بشراهة، ويظل ماشيا عدة ساعات إلى أن يشعر بإنهاك تام فيعود إلى المنزل ويظل حبيس غرفة مكتبه حتى وقت متأخر من الليل ثم يندس في الفراش وينام حتى ساعة متأخرة.

لم يعد يكتب بشكل منتظم، وبدأ يرى أن هذه الرواية إن اكتملت

ستكون الأسوأ على الإطلاق.

كانت ليندا هي الأخرى قد ضاقت زرعا بكل هذا..

كانت حالة ابنتها تقتلها ولم تكن بارعة في إخفاء هذا، وآدم لم يعد يحتمل أي شئ.

سئمت تظاهره بأن كل شيء سيكون على ما يرام، كلما استمر في محاولاته البائسة لبث الأمل فيهما، كلما ازداد حنقها.

عرفت أن زوجها أصبح يدخن وتيقنت أن خروجه المستمر من المنزل من أجل التدخين.

جودي أصبحت أكثر عصبية ولم تعد تتحمل أي شيء هي الأخرى.

أصبح الصراخ في المنزل شيئا طبيعيا ومعتادا من الجميع.

في يوم عيد ميلاد جودي الخامس في الحادي عشر من إبريل، أقاموا حفلا كبيرا دعوا إليه جميع الأقارب والأصدقاء أملا منهم في رسم البسمة على شفاه جودي، ولم ينجح الأمر أيضا.

كان من المفترض أن يعودوا إلى المستشفى في تيجوانا في الخامس والعشرين من إبريل لاستكمال العلاج هناك لمدة أسبوع وتقييم حالة جودي.

حجز زوجها غرفة لنفسه في النزل الصغير الذي نزل فيه في المرة السابقة قبل الموعد بشهر تقريبا حتى يجد لنفسه غرفة من غرفات النزل

القليلة، بينما ستبقى هي مرافقة لابنتها بالمستشفى كما جرت العادة.

رباه كم تكره المستشفيات.

اتفقت مع آدم أن تقضي عدة أيام في بيت أمها قبل السفر ولم يمانع، لذا في يوم الجمعة التاسع عشر من إبريل ذهبت إلى بيت أمها.

جاء آدم إلى زيارتهم يوم السبت وتناول معهم طعام العشاء وقضى معهم بعض الوقت ثم انصرف متعللا بحاجته إلى العودة إلى الكتابة.

يوم الأحد قضاه آدم بالمنزل ولم يبرحه، لم يستطع أن يذهب لزيارة زوجته وابنته، كان قلبه ينفطر كلما شاهد ابنته والحالة التي أصبحت فيها.

قضى معظم الوقت في الفناء الخلفي لمنزله يدخن ويفكر بدون تركيز وظل هكذا حتى ساعة متأخرة، ثم آوى إلى الفراش.

* * *

05

في السابعة صباحا رن تليفونه بإلحاح

بعيون نصف مغمضة، نظر إلى الهاتف ليجد رقم زوجته

أجاب مسرعا، وقلبه يكاد يقفز من صدره، أخبرته بكلمات مبعثرة أن حالة غريبة قد انتابت جودي.

تشنجات غريبة، ثم غيبوبة.

وهم الآن في طواريء المستشفى.

بعد عدة دقائق كان يغادر المنزل وأخذ سيارته وأسرع إلى المستشفى.

لم يكن منتبها إلى الطريق، كان شاردا تماما والغريب أنه لم يكن يفكر في أي شيء.

حالة غريبة وكأن عقله قد توقف عن العمل.

وصل إلى المستشفى، ولم يستطيعوا أن يمنعوه من دخول الطواريء

هناك وجد زوجته وحيدة

أخبرته أن جودي مع الأطباء في محاولة لإسعافها.

كانت منهارة تماما، وأخبرته أن إحدى الطبيبات أخبرتها أن هذه هي النهاية.

سب الطبيبة ساخطا، وحاول التهدئة من حالة زوجته

كانت الكلمات تخرج من فمه دون أن يستطيع أن يقنع نفسه بها.

انتظرا طويلا، وأخيرا أخبروهم أنهم سيقومون بوضع ابنتهم بغرفة من الغرف الملحقة بالطواريء لتكون تحت الملاحظة ويمكنهم انتظارها هناك.

هرعوا إلى الغرفة وبعد قليل أحضروا ابنتهم.

كانت هادئة تماما ولا تزال في غيبوبة، وضعوا لها جهاز تنفس

صناعي وأوصلوا بأوردتها محلولاً ما.

جلسا بجانبها في الغرفة الضيقة ينظران إليها في صمت.

بعد عدة ساعات أفاقت جودي، كانت فرحتهم كبيرة، وأسرعت ليندا لإخبار الأطباء بالأمر، أخبرها أحدهم أنه سيأتي لفحصها بعد قليل.

فحصها الطبيب وأخبرته ليندا عما قالته الطبيبة لها في الصباح فأخبرها ألا تهتم بما قالته لها تلك الطبيبة وتمنى لابنتهما الشفاء وغادر.

لم تكن جودي تشعر بالراحة، حاولت الكلام ولكن لسانها كان ثقيلا ولم يتبينا كلامها.

حاولا وضعها في أكثر من موضع ولكنها لم ترتح في أي موضع.

ذهب آدم إلى الكافتيريا وأحضر شيئا ليأكلوه وعصيرًا.

حمل ابنته على قدميه وعرض عليها أن تشرب العصير فوافقت، وهذا شيء لم تفعله منذ فترة.

شربت العصير وأخذت تتقلب كثيرا فوق قدميه.

كان باديا عليها عدم الارتياح.

ظلوا هكذا حتى المساء، وكانت جودي قد استقرت إلى حد ما على فراشها.

في التاسعة تقريبا قرر آدم أن يعود إلى المنزل، قبَّل ابنته ورحل..

وصل إلى المنزل ولم يكد يبدل ملابسه حتى جاءه اتصال من زوجته.

أجاب دون أن يتعرف على حقيقة مشاعره، أخبرته أن يأتي على الفور لأن خطبا ما قد أصاب ابنتهما ولا تدري ماذا تفعل.

ارتدى ملابسه في ثواني وشعر بالحقيقة.

لقد ماتت ابنته..

أخذ طريقه إلى المستشفى وهو لا يرى تقريبا، لم ينتبه لأي شيء، فجأة وجد نفسه هناك ووجد أم زوجته هناك وكذلك أختها.

نظرة واحدة إلى زوجته حتى عرف كل شيء.

لقد ماتت جودي..

* * *

06

لم يستطع آدم الكلام، توجه إلى مقعد في ركن بعيد وجلس ووضع رأسه بين كفيه وبدأ يبكي في صمت.

لم يعد يدري ماذا يفعل، كان ينظر إلى زوجته الباكية من حين إلى آخر ولا يعلم ما يجب عليه فعله.

كانت هناك نار تتأجج داخله آخذة طريقها إلى الخارج ليحترق بها كليا.

كان يتوق إلى ضم ابنته إلى صدره لمرة أخيرة ولكنه لم يجرأ على

رؤيتها ميتة.

كان وجود الناس حوله يشعره بالاختناق، كل ما أراده هو الانعزال وحيدا عن الجميع ليحيا مع حزنه وألمه إلى الأبد.

لم يقو على فعل أي شيء، كان يراقب الأحداث بدون وعي، حتى لم يعد هناك ما يفعلونه الآن فقاموا لينصرفوا.

لم تقو ليندا على العودة إلى البيت دون ابنتها، وكان آدم يفضل أن يكون وحيدا، فذهبت برفقة أمها وأختها إلى بيتهم، بينما توجه هو إلى منزله مؤكدا للجميع أنه سيكون على ما يرام.

عاد إلي البيت، وترك سيارته أمام البيت ودخل..

كان عقله مشوشًا تماما، نوع من الشلل الكامل أصاب عقله، وعبثا حاول تركيز تفكيره دون جدوى.

لم يقو على تغيير ملابسه، كان لا يزال في حالة صدمة، ويعرف أن الحزن والألم سيأتيان لاحقا.

خرج إلى الشرفة المطلة على الباحة الخلفية، وجلس أرضا ساندا ظهره إلى الحائط، وأخذ يدخن إلى أن نفذت سجائره.

قام بصعوبة بالغة بعد أن تيبست قدماه من طول فترة الجلوس، وصعد إلى الدور العلوي ودخل إلى الحمام واغتسل ثم بدل ملابسه استعدادا

للجنازة.

بعد انتهاء إجراءات الدفن، اختفى آدم.

بحثت عنه ليندا حولها في كل مكان فلم تجده، ثم جاءتها رسالة نصية منه تقول أنه ذهب لأنه لا يستطيع تحمل أحاديث العزاء الفارغة من الأخرين وسيقوم بمكالمتها لاحقا.

توجه آدم إلى منزله وبدل ملابسه سريعا، وخرج مرة أخرى.

كان المنزل كئيبا بصورة مزعجة وكأنه يشاركهما حزنهما، وأدرك آدم أنه سيكون من الصعب الحياة بهذا المنزل مرة أخرى.

لم يدر أين يذهب، أخذ سيارته وقادها، أو تركها تقوده إلى حيث تشاء.

بعد أكثر من ساعة من القيادة وجد نفسه في منطقة وسط المدينة، ابتاع علبة سجائر وتوجه إلى كافيه ستاربكس.

طلب كوبا مزدوجا من الإسبرسو وجلس في الخارج.

ومع رشفات الإسبرسو المتتالية ووسط دخان سجائره الكثيف بدأ عقله في العمل مجددا، وبدأت دموعه تنهمر غزيرة.

* * *

07

بدأت الحركة تزداد بقرب آدم حيث كان يجلس فكفكف دموعه

سريعا وقام إلى سيارته وانطلق وترك دموعه تنمهر كما تشاء.

كان لا يزال عقله مشوشا وجعلت دموعه القيادة مستحيلة، لذا وقف بسيارته على جانب طريق هادئ وأستند براسه إلى خلف وبدأ يشعر بدوار خفيف بدأ في الازدياد شيئا فشيئا وتجمعت قطرات عرق باردة على جبهته.

أحس بأنه على وشك الغرق في غيبوبة، فاستجمع ما بقي له من قوة وقاد سيارته حتى وصل إلى منزل أم زوجته القريب من مكانه وتوقف بسيارته بصعوبة.

حاول الخروج من السيارة ولكن الظلام ساد أمام عينيه فجأة فتشبث بباب السيارة في اللحظة الأخيرة ثم خر على ركبتيه واسند رأسه على السيارة وبدأ يشعر بألم في مؤخرة رأسه وأصبح يبذل جهدا كبيرا للحفاظ على وعيه الذي بدأ في الانسحاب تدريجيا.

وفجأة سندته يد زوجته التي رأته وهو يتوقف بسيارته أمام المنزل ثم شاهدته وهو ينهار فأسرعت إليه لتلحقه في اللحظة الأخيرة.

تحامل على نفسه وسار معها إلى داخل المنزل وارتمى على الأريكة.

أسرعت حماته وأحضرت له كوبا من العصير وبمساعدة ابنتها جعلاه يشرب نصف الكوب ثم أرقداه مرة أخرى على الأريكة.

ظل على حاله دقائق، زادت خلالها سرعة تنفسه بشكل ملحوظ ثم بدأ يهدأ شيئا فشيئا حتى شعر أنه أفضل حالا فاعتدل جالسا فأجبرته زوجته على ارتشاف ما بقي من كوب العصير ثم سألته:

– بما تشعر الآن؟

– أنا أفضل حالا.

وبدأت الرؤية تزداد وضوحا ولكن رأسه كانت تؤلمه بطريقة مريعة.

نظرت إليه حماته وسألته:

– متى أكلت أخر مرة؟

نظر إليها في حيرة وكأنه لم يفهم السؤال، ففهمت أنه لم يأكل منذ فترة طويلة، فقالت موجهة الكلام إليه وإلى ابنتها وبلهجة غاضبة:

– ستأكلان الآن بدون نقاش.

أعدت لهما الطعام سريعا وجلسا يأكلان بلا شهية وما لبثا أن قاما بعد أن تناول كلٌ منهما لقيمات معدودة وعادا إلى الأريكة.

نظرت حماته إليهما غاضبة وهمت بقول شيء ما ولكنها تراجعت وأشارت بيدها ساخطة وتركتهما وانصرفت إلى غرفتها.

انتظرت زوجته حتى تأكدت أنهما قد أصبحا وحديهما تماما ثم التفتت إلى آدم وقالت:

- وماذا الآن؟

نظر إليها آدم في حيرة ثم سألها:

- ماذا تقصدين؟

- أعني أنك تتجنبني منذ أن حدث ما حدث، لقد انتظرت أن تكون أول من يعضدني ويحتويني ولكنك أخذت جانبا ونأيت عني.

أعلم أنك تتألم مثلما أتألم أنا ولكني كنت أتوقع أن يقف كلٌّ منا بجوار الآخر

سأسألك سؤالا واحدا وأريد إجابة صريحة منك، هل تريد الاستمرار معي أم من الأفضل أن ننهي هذا الزواج؟

نظر لها آدم بدهشة وقال:

- أتريدين حقا مناقشة هذا الأمر؟ والآن؟!

نظرت إليه بإصرار وأومأت برأسها موافقة.

لم يكن آدم في حالة تسمح له بالنقاش، كان يحتاج إلى الصمت ويريده ويجد فيه ملاذه، فنظر إليها نظرة تعبة وقال بصوت مرهق:

- أنا حقا لا أريد الكلام الآن، ولا أستطيع أيضا.

كل ما أستطيع قوله إنني لم أفكر مطلقا في تركك أو الانفصال عنك.

أنا فقط أحتاج لبعض الوقت، أحتاج إلى البقاء وحيدا، لا أريد الكلام.

نظرت له ليندا بعينين دامعتين وقالت:

- حسنا كما تريد، سأكون هنا حتى تبقى مستعدا للحديث معي.

وتركته وحيدا وانصرفت فقام هو الآخر وانصرف.

الفصل السادس

01

مع انتهاء شهر مارس، تيقنت ياسمينا أنها لن تستطيع الاستمرار طويلا في العمل بهذه المستشفى.

واكتشفت أن الانتقال من كندا إلى المكسيك كان قرارا خاطئا منذ البداية.. الفرق ضخم بين البلدين.

كانت حالتها النفسية سيئة جدا، حيث كانت تصاب بحالة هيستيرية تؤثر كثيرا على أعصابها عندما تكتشف أنها اتخذت قرارا خاطئا.

كانت عندما تكتشف اتخاذها قرارا خاطئا، تربط بينه وبين قرارها السابق بالابتعاد عن حازم.

مع كل قرار خاطئ تكتشفه تتساءل بجدية " أيمكن أن يكون أكثر القرارات تأثيرا في حياتي، قرارا خاطئا؟ " وكانت الإجابة عن هذا السؤال تخيفها خوفا كبيرا وتسبب لها توترا يؤثر على حياتها اليومية بشكل كبير.

لذا في بداية شهر إبريل تحدثت مع دكتور توني، وأخبرته أن هذا

الشهر سيكون الشهر الأخير لها معهم، وأوضحت له عدم قدرتها على التأقلم مع المكان.

تقبّل موقفها بهدوء وتمنى لها التوفيق حيث تريد أن تكون وسألها عما تنتوي أن تفعل ولكنها لم تكن تعرف حقا.

- أظنني قد أحصل على إجازة لبعض الوقت ثم أرى.

هذا ما قالته دون تفكير وبدت لها الفكرة جيدة فعلا، فكم تحتاج إلى إجازة لتريح أعصابها وتعطي نفسها الفرصة لتقييم حياتها في الفترة الأخيرة.

كانت ببساطة تريد أن ترى بوضوح أين تقف الآن حتى يمكنها التعرف إلى أين يجب أن تذهب.

وهكذا أمضت شهر إبريل وهي تستعد لأن يكون آخر شهر لها بالمكسيك، وكانت تعمل بآلية في انتظار انتهاء الشهر.

لم تكن قد قررت بعد أين ستتجه بعد أن تغادر المكسيك، هل تتجه إلى كندا أم تذهب لزيارة أمها في صربيا ولم تكن قد زارتها منذ ثلاث سنوات.

كانت زيارتها الأخيرة لصربيا عندما توفى والدها، وصلت بعد انتهاء الجنازة بيومين كاملين، وقضت هناك بضعة أيام مع أمها، ثم عادت إلى

كندا.

لم تكن علاقتها جيدة مع أمها وربما يكون هذا هو السبب وراء عدم زيارتها لصربيا منذ أن توفي والدها.

في الثالث والعشرين من إبريل قبل انتهاء اليوم بقليل لاحظت الوجوم على وجه زميلتها ميشيل وهي الممرضة التي تعمل معها في الفترة الصباحية.

عندما سألتها عما بها أخبرتها أن الطفلة التي كانت تتلقى العلاج بالمستشفى منذ ثلاثة أشهر وتسمى جودي قد ماتت مساء الأمس، وأنهم قد تلقوا رسالة من والد الطفلة بالخبر منذ قليل.

شعرت بصدمة لم تتوقعها، كانت قد شاهدت صورة الفتاة من قبل أثناء محاضرة دكتور توني في يوم عملها الأول، وأحبتها دون سبب واضح ولذلك شعرت بحزن عميق لموتها وبشفقة كبيرة نحو أبويها.

* * *

02

غادر آدم منزل حماته محمّلا بمشاعر كثيرة متداخلة، كان يشعر بالحزن والحنق والغضب وإرهاق جسدي وعصبي كبير.

توجه إلى منزله وارتمى على الفراش بملابسه كاملة.

كان مرهقا بشكل كبير جدا، وتذكر أنه لم ينم منذ فترة طويلة جدا،

فقرر إغلاق هاتفه الخلوي ومحاولة النوم ولكنه تذكر فجأة مستشفى المكسيك فبعث إليهم برسالة مقتضبة يخبرهم فيها بما حدث، ثم أغلق تليفونه.

كانت رأسه تكاد أن تنفجر من الألم، وكانت الأفكار تتصارع في رأسه بطريقة تصيبه بالغثيان، تناول قرصين من مسكن للآلام وظل يتقلب كثيرا في فراشه.. وأخيرا نام.

كان نوما متعِبا جدا، كانت أحلامه تشبه الهذيان، ضبابية.. غير مترابطة

حلم بجودي أحلام مختلفة، كل حلم منها كانت فيه في عمر مختلف.. حلم بليندا وحازم وأبيه في حلم واحد.. حلم بأشخاص لا يعرفهم ولم يلتقهم من قبل.. أحلام كثيرة لم يكن هو بطلا من أبطالها.

وأخيرا استيقظ شاعرا بالغثيان، دخل إلى الحمام مسرعا وتقيأ.

شعر أنه أفضل حالا، خلع ملابسه وألقاها أرضا ووقف تحت مياه الدش تاركا المياه تتدفق فوقه لمدة طويلة.

شعر بالانتعاش وأن تفكيره أصبح أكثر تماسكا، نظر إلى الساعة فوجدها تشير إلى الخامسة فجرا.

ارتدي ملابس مريحة ونزل إلى الأسفل، أكل شيئا خفيفا ثم أعد

القهوة وأخذها ودخل إلى غرفة المكتب وقد قرر أن ينتهي من الرواية.

ظل فترة طويلة ينظر إلى شاشة حاسوبه ويتأمل لوحة المفاتيح عاجزا عن كتابة حرف واحد وفجأة انطلقت يداه وبدأ يكتب بسرعة جنونية وكأن أحدهم يمليه ما يكتب.

وانتهت الرواية..

كان عادة كلما انتهى من رواية يشعر بخواء فكري وأنه استنفذ كل أفكاره ولن يستطيع الكتابة مجددا، ولكنه هذه المرة لم يكن الأمر يشغله كثيرا، بل على العكس شعر بالارتياح وكأن هما ثقيلا قد انزاح من فوق صدره.

بقى أمامه شيء آخر، يجب أن يعتذر إلى ليندا.

لقد تعامل معها بأنانية مفرطة وكأن المصيبة هبطت فوق رأسه وحده وتركتها سليمة معافاه.

أحضر هاتفه المحمول واتصل بها..

كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحا وتوقع أن تكون لا تزال نائمة ولكنها أجابت الهاتف سريعا.

– ماذا هناك يا آدم، لماذا تتصل مبكرا هكذا؟

– في الحقيقة اتصلت لأعتذر، أرجو أن تستمعي إليّ حتى النهاية،

أعرف أنني تصرفت بأنانية مفرطة ولكنني كنت في حالة صدمة ولم أع ما أفعل.. أعرف أنك تتألمين كما أفعل وربما أكثر لا أدري.. ولكنني أضعف مما أبدو عليه، وأظنك تعلمين هذا.

لا أدري حقا كيف استطعتِ أن تقولي أن نترك بعضنا البعض، أنا لم يعد لديّ سواك وأظنك لم يعد لديك سواي.

لقد كنت على حق عندما توقعت أن نتعاضد ويحتوي أحدنا الأخر، لأن هذا هو الأمر الصحيح بالفعل، لذا أرجوك أن تسامحيني وتتحملي ضعفي المبالغ فيه.

قالت بصوت مخنوق من البكاء:

– آدم أنا حقا..

قاطعها قائلا:

– لدي اقترح، استمعي إليه

نحتاج إلى الابتعاد قليلا عن المكان، أريد أن نسافر في إجازة.

– نسافر! متي؟ وإلى أين؟

– نسافر الآن سآتي لإحضارك لتعدي أمتعتك، أما بالنسبة إلى أين فأنا أود الذهاب إلى تيخوانا وأرجو ألا ترفضي.

صمتت ولم تجبه فأردف:

– أعلم أن تواجدنا في تيخوانا لن يكون سهلا علينا ولكني أريد بشدة أن أذهب إلى هناك.

– ولكن..

قاطعها:

– لا لكن، سأكون عندك بعد ساعة، اتفقنا.

– حسنا.. اتفقنا.

* * *

03

قرر آدم الذهاب إلى تيخوانا بالسيارة، كانت قيادة السيارة تصفّي ذهنه كثيرا، لذا انطلقوا من توسون قبل العاشرة صباحا بقليل.

كان شاردا قليلا أثناء القيادة وصامتا، لذا لازت ليندا بالصمت هي الأخرى.

بعد ستة ساعات من القيادة وقفوا خلالها مرتين للتزود بالوقود وشرب القهوة وصلوا إلى سان دييجو.

التفت آدم إلى ليندا فجأة وقال:

– لقد نسينا شيئا هاما.

– ماذا؟

– حجز الفندق في تيخوانا يبدأ من الغد، أين سنقضي ليلتنا.

– ألم تتحدث مع الفندق هناك؟!

– لا لقد نسيت تماما، انتظري ما رأيك أن نقضي الليلة في إمبريال بيتش ثم ننطلق إلى تيخوانا في صباح الغد؟

– كما تريد.

ركن آدم سيارته بقرب أول مطعم وجده.

لم يتناولا أي طعام طوال الرحلة لذا كانا يتضورون جوعا، أكلا جيدا وغادرا.

قاد آدم سيارته مجددا حتى وجد أوتيلا يبدو جيدا فقررا قضاء ليلتهم به.

أفرغا من حقائبهما فقط ما يحتاجانه لقضاء الليلة.

كانا متعبين من الرحلة ومن أحداث الأيام السابقة، لذا تحدثا قليلا ثم خلدا إلى النوم مبكرا.

استيقظا في وقت مبكر وتوجها إلى الحدود المزدحمة بشكل دائم وأخيرا عبرا إلى تيخوانا.

لم يكن آدم يعرف الطريق إلى منطقة شواطئ تيخوانا حيث يقع الفندق، لذا أخذا أكثر من ساعة حتى وصلا إلى هناك.

كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحا عندما ولجا إلى الداخل.

وجدا إليخاندرا توريس أمامهم، وبدت عليها دهشة حقيقية لرؤيتهما، ثم تبدلت ملامحها إلى الحزن وتقدمت إليهما وقدمت لهما عزاءً حارا.

سألتها ليندا: - كيف عرفت؟

أجابتها أنها علمت من المستشفى.

سألها آدم قلقا إذا كانت الغرفة المحجوزة باسمه لاتزال متاحة، فأجابته بأنهما يمكنهما النزول بالجناح المطل على الحديقة أيّا كانت المدة التي يريدونها.

شكراها بحرارة، وقبل أن يتوجها إلى الجناح، التفت إليها آدم وقال:

- أرجو ألا تخبري أحدا بالمستشفى أننا هنا، أنت تعرفين..

قاطعته: - كما تريد مستر برايس.

دلفا إلى الجناح الفسيح، أفرغا حقائبهما، بدّلا ملابسيهما وقررا الخروج للاستمتاع بالشمس وتناول طعام الإفطار.

كان وجود السياح ليس معتادا في المنطقة، ولذلك كان من النادر أن تجد من يستطيع التحدث باللغة الإنجليزية ولكن هذا لم يشكل عائقا على الإطلاق فآدم كان يتحدث الأسبانية بطلاقة وليندا تعرف ما يكفيها.

بعد أن تناولا طعام الإفطار، توجها إلى المحيط وخلعا نعليهما وتمشيا

على رمال الشاطئ متشابكي الأيدي.

لولا الحزن البادي على كليهما لظن الجميع أنهما زوجان يقضيان شهر العسل.

ظلا يتمشيان لفترة حتى أحسا بالتعب وقوة الشمس فوق رأسيهما.

كان النهار قد انتصف وأصبحت الشمس أقوى مما يحتملان، لذا توجها إلى إحدى الكافيهات المطلة على المحيط مباشرة وجلسا في الظل.

كان المكان يقدم مشروبات خفيفة وعصائر، فطلبت ليندا كأسا من التكيلا بينما طلب آدم مشروبا يسمى المارغريتا الوهمية وهو عبارة عن كوكتيل منخفض السعرات الحرارية وخالي من الكحول، حيث كان آدم لا يشرب أية مشروبات كحولية.

كان آدم يحب دائما أن يظل محتفظا بتركيزه واتزانه، وكان يحب عقله بشكل كبير ولا يريد أن يؤثر عليه سلبا بالمشروبات الكحولية، لذا لم يشرب أية مشروبات كحولية منذ أن كان مراهقا.

و سبب ذلك أنه بعد حفلة تخرجه من المدرسة، ذهب ليحتفل مع أصدقائه وتناولوا كمية كبيرة من المشروبات أدت إلى نتائج وخيمة وكاد أن ينتهي بهم الأمر في السجن لولا تدخل أبيه في اللحظة الأخيرة.

ومن يومها لم يقرب الكحوليات مطلقا.

نظر إلى زوجته فوجدها تنظر إلى المحيط نظرة شاردة حزينة، فأمسك بيدها فالتفتت إليه وتلاقت عيناهما فقبل يدها وقال لها:

- هل تعلمين أنك لازلت جميلة كما كنت دائما.

ابتسمت وقالت متهكمة:

- هل تغازلني؟

- بالتأكيد، ما رأيك بالعودة إلى الفندق لنأخذ قيلولة وربما نفعل أشياء أخري.

- ألا زلت تتذكر الأشياء الأخرى؟ لقد ظننت أنك نسيتها عندما فقدت ذاكرتك.

- هلمي بنا إذن إلى الفندق لتري أنني لازلت أتذكّر جيدا.

على أثر ذلك قام بدفع الحساب وتأبطت ليندا ذراعه، وعادا إلى الفندق..

* * *

04

استيقظ آدم ودخل إلى الحمام وأخذ دشا سريعا.

خرج من الحمام فوجد زوجته قد استيقظت هي الأخرى، قبلته قبلة سريعة ودخلت إلى الحمام لتأخذ دشا هي الأخرى بينما جلس هو على الأريكة وأمسك بجهاز التحكم لتشغيل التليفزيون ولكنه تراجع في اللحظة

الأخيرة.

كان يشعر بكآبة، كلما نام حلم بجودي، لذا كانت الكآبة تنتابه كلما استيقظ.

كان يشتاق إليها

يشتاق إلى ضحكتها.. يشتاق إلى عبوسها

يشتاق إلى غضبها.. يشتاق إلى رضاها

ولكن أكثر ما كان يشتاق إليه هو حضنها، كلما تذكر أنه قد حُرم من هذا الحضن إلى الأبد تنتابه حالة هيستيريا ويفقد السيطرة على أعصابه ويرتعش لا إراديا.

كان فقد ابنته يشعره بالتعاسة الطبيعية والمتوقعة ولكن تعاسته كانت تزداد إلى حد لا يطاق كلما تذكر كيف تألمت جودي ولفترة طويلة، كيف تحملت الآلام، وكيف تحملت الحرمان من اللعب واللهو والكثير من أنواع الطعام التي تحبها.

تحملت كل هذا وأكثر أملا في الشفاء، وفي النهاية كان كل هذا بلا جدوى.

كان هذا أكثر ما يثير جنونه، لماذا يتألم الأطفال؟ وبأي ذنب؟

كلما خطرت له تلك الفكرة، كانت دموعه تنساب ولا يستطيع منعها

إلا بمجهود حقيقي.

كان يعرف أن زوجته تتألم مثله هي الأخرى، كثيرا ما كان يسمعها وهي تبكي، كانت تحاول جاهدة كتمان صوت بكائها ولكنه كان يعرف ويتظاهر أنه لم يلحظ.

سمع صوت باب الحمام يفتح فكفكف دموعه سريعا، وتمدد على الأريكة متظاهرا بالكسل.

– كم الساعة الآن يا حبيبي؟

نظر إلى هاتفه الملقى على الطاولة أمامه وأجابها:

– التاسعة تقريبا.

– حسنا، ماذا سنفعل اليوم؟

– ارتدي ملابسك لنذهب لتناول طعام الإفطار، فأنا أتضور جوعا، بعدها يمكننا أن نقضي اليوم على الشاطئ ثم نتناول طعام الغذاء بالمطعم الإيطالي المجاور للمحيط ثم نقرر ماذا نفعل بعدها.

– حسنا كما تريد.

ارتديا ملابس خفيفة حيث كان الجو حارا نسبيا، وذهبا إلى مقهى سانبورنز **Sanborns Cafe** وتناولا إفطارا خفيفا مع العصير الطازج.

بعدها تمشيا حتى وصلا إلى المحيط، وأحضر آدم كوبا من القهوة من

eleven7 وجلسا أمام المحيط.

كان المكان مزدحما قليلا نتيجة للطقس الحار نسبيا، وكان هناك العديد من الأشخاص يسبحون بالقرب من الشاطئ وبعض الأطفال يلعبون بمرح على الشاطيء.

استندت ليندا على كتف زوجها بينما كان هو يحتسي قهوته ويراقب الأطفال بشرود.

* * *

05

في يوم الجمعة السادس والعشرين من إبريل، استيقظت ياسمينا مبكرا قليلا عن المعتاد.

كان هذا اليوم هو يوم إجازتها الأخيرة، ولم يعد أمامها سوى أربعة أيام من العمل وتبدأ إجازتها المفتوحة لمدة لم تحددها بعد.

قررت قضاء اليوم بأكمله على الشاطيء، فهذا اليوم يعتبر يومها الأخير بالمدينة حيث إن أيام العمل لا يمكن احتسابها.

بعد تردد طويل قررت زيارة أمها وبالفعل قامت بحجز رحلة طيران من مطار سان دييجو إلى مطار شيفول بأمستردام، وطائرة أخرى من أمستردام إلى بلغراد، وذلك في يوم الأربعاء الأول من مايو.

بدا لها الأمر طريفا أن تبدأ إجازتها يوم الأول من مايو، يوم عيد

العمال، الذي يعتبر إجازة في الكثير من البلدان.

قامت بتغيير ملابسها سريعا وبدأت رحلتها إلى المحيط، تلك الرحلة التي تأخذ ما يقرب من الساعة بسبب المواصلات اللعينة، ولكنها في هذا اليوم قررت أن تذهب في سيارة أجرة توفيرا للوقت وباعتبار أن اليوم عطلة ولا بأس من إهدار بعض الدولارات على سيارات الأجرة التي كانت تطلب أجرا مُبالغًا فيه حقا.

كان ما لفت نظرها أنه بالرغم من أن عملة البلد هي البيسوس ولكن جميع الأماكن تتعامل بالدولار بجانب البيسوس ويوجد مكاتب تحويل للعملة في كل شبر تقريبا.

المكان الوحيد الذي كان يتعامل فقط بالعملة المحلية هو سلسلة محلات راديو شاك، وهذا ما فشلت تماما في فهمه.

وصلت إلى منطقة Plays De Tijuana حيث يوجد المحيط قبل العاشرة بقليل، ترجلت من سيارة الأجرة بالقرب من ستارباكس حيث قررت أن تتناول إفطارها هناك مع كوب من الكابتشينو.

بعد ذلك توجهت إلى المحيط الذي يبتعد عن المكان عشر دقائق تقريبا، ولكنها كانت تسير على مهل وتتأمل كل ما يقابلها كتوديع أخير للمكان، وأخيرا وصلت إلى المحيط.

كان الجو حارا نسبيا لذلك بحثت عن مكان ظليل وجلست تراقب الأطفال وهم يمرحون على الشاطئ ويضحكون بصوت مرتفع.

كان هناك زوجان يجلسان أمامها والزوجة تستند إلى كتف زوجها بينما كان الزوج يحتسي قهوته وينظر أمامه بثبات وكأنه تمثال من الشمع.

لم تستطع من موضعها أن ترى وجهيهما فلم تستطع تحديد عمريهما ولكن الرجل كان لديه الكثير من الشعر الأبيض بينما المرأة كانت شقراء وبدا لها أنهما ليسا مكسيكيين بأي حال، ولكن من يدري.

انتابتها الكآبة فجأة عندما تذكرت أنها قد تخطت الثلاثين من عمرها وتعيش وحيدة تماما، وشعرت أنها تحسد المرأة فقط لأنها تجد من تستند برأسها على كتفه.

قامت وقررت الابتعاد عنهما، لذا قامت بالنزول إلى الممر الخشبي ثم تخطته هابطة إلى حيث توجد الرمال وخلعت حذاءها وسارت إلى المياه وبدأت تسير والأمواج تبلل قدميها من حين إلي آخر.

* * *

06

كانت مشاعر آدم متناقضة تماما، كان دائما ما يشعر بالسعادة عندما يراقب الأطفال وهي تلهو وتلعب، وكان يبتسم رغما عنه عندما يشاهد طفلا يضحك أو حتى يبتسم، وفي نفس الوقت كان يشعر بحزن عميق من أجل

طفلته التي حُرمت لفترة طويلة من اللعب وماتت في النهاية.

كانت ليندا هي الأخرى تشعر بالحزن والقلق كلما رأت أطفالا، كانت تشعر بقلق حقيقي على الأطفال من أن يصيب أحدهم مكروه، كانت الفترة الطويلة التي قضاها في علاج ابنتهما ووجودها المستمر بالمستشفيات جعلها تتعرف على الكثير من الأطفال المرضى بأمراض خطيرة، لذا كان القلق هو أول شعور ينتابها كلما رأت طفلا.

فكرت هل يمكننا أن نحصل على أطفال مرة أخري، وهل نحن مستعدان لهذا..

كان هذا ما يشغل آدم هو الأخر، موضوع الأطفال، هل هما مستعدان ليكون لهما طفل آخر؟

الإجابة على هذا السؤال كانت هي السبب الحقيقى وراء شروده، لم يستطع التوصل إلى إجابة وكان هو وليندا قد مارسا علاقة حميمية بالأمس دون أية وسائل حماية من الحمل وكان يخشى أن تحمل وهما لم يتوصلا بعد لإجابة لهذا السؤال.

كان يرى أن هناك مشكلة أخرى في الحصول على أطفال، مشكلة خاصة به هو، لم تعد الحياة تثير شغفه، لقد تغير كثيرا في العامين السابقين.

لقد كان له الكثير من الأحلام والطموحات في السابق وبعد مرض ابنته

تغيرت نظرته إلى الحياة وبدأ يرى أن تلك الأحلام والطموحات شيء مبتذل وسخيف، وجاء موت ابنته ليفقد شغفه بالحياة بشكل عام.

- لماذا أنت شارد بهذا الشكل. قالت ليندا دون أن تبدل من وضعها.

- لا شيء محدد.

- أنت تفكر في موضوع الأطفال. أليس كذلك؟

- في الواقع نعم.

- حسنا. نحن لسنا على استعداد للحصول على أطفال الآن، لابد أن نأخذ المزيد من الوقت، نحن نحتاج إلى المزيد من الوقت.

- أعرف ذلك، فلنترك الأمر جانبا الآن وندع الأمر للزمن.

- حسنا، كما تريد.

كان قد انتهى من قهوته منذ فترة، فقام ليلقي بالكوب في سلة المهملات ثم عاد وجلس مجددا بجوار زوجته.

كان يراقب مجموعة من الحمام تسير بالقرب منهم عندما قالت ليندا فجأة:

- ما بال تلك المرأة؟

- أية امرأة؟

- أترى تلك المرأة التي تسير على الشاطئ مبللة قدميها بالمياه؟.

نظر إلى حيث تشير وكانت قد تخطتهم ولم يعد قادرا على رؤية وجهها، فنظر إلى زوجته وسألها:

– ماذا بها؟

– كانت تسير نحو اليمين في اتجاه السور الفاصل بين تيخوانا وأمريكا وكانت تنظر إلينا بفضول، ثم عادت تنظر إلينا نظرة أخرى طويلة وهي عائدة لتسير في الاتجاه الآخر.

– هل هي مكسيكية؟

– لا أظن هذا.

– ربما لاحظت أننا غير مكسيكيين نحن أيضا فأرادت أن تعرف جنسيتنا.

– ربما. قالتها ليندا دون اقتناع.

– حسنا، يمكننا أن نسير نحن أيضا على الشاطئ مبللين أقدامنا، نحن نجلس منذ مدة.

– حسنا هيا بنا.

قاما وهبطا حتى المر الخشبي وسارا حتي نهايته ثم نزلا إلى الرمال وخلعا حذائيهما وتوغلا في الرمال حتى بللت مياه المحيط أرجلهيما وبدءا السير متشابكي الأيدي.

* * *

07

استمرا في السير حتى نهاية الشاطئ ثم عادا إلى الكافتريا التي جلسا فيها في اليوم السابق، وظلا جالسين لفترة طويلة يتحدثان ويستمتعان بشرب الكوكتيل اللذيذ إلى أن شعرا بالجوع فقررا الذهاب إلى المطعم الإيطالي القريب لتناول الطعام.

دلفا إلى المطعم الذي أكلا فيه مرارا في المرة السابقة عندما كانت ابنتهما تتلقى العلاج، وذلك لقربه الشديد من المستشفى وجودة الطعام الذي يقدمه.

كان أكل المستشفى لا يسمن ولا يغني من جوع كما كان يردد آدم دائما، ولذلك كان هذا المطعم بالنسبة إليه كطوق للنجاة.

كان المطعم فسيحا وملحقا به بار كبير لم يلفت نظر آدم من قبل لعدم اهتمامه بالمشروبات الكحولية.

جلسا متقابلين على طاولة في منتصف المطعم تقريبا، وكان البار يقع خلف آدم وفي مرمى نظر ليندا.

كان آدم منشغلا بقائمة الطعام عندما تمتمت زوجته بصوت خافت:

– ممم. تلك الفتاة مرة أخرى.

نظر لها آدم وقال:

– هل تقولين شيئا يا حبيبتي.

- نعم. تلك الفتاة تجلس هناك على البار.

- أية فتاة؟!

- تلك الفتاة التي حدثتك عنها على الشاطيء، التي كانت تنظر إلينا مليا.

- آه، تلك الفتاة، لماذا تنشغلين بها يا عزيزتي؟

- لست منشغلة بها. فقط وجدتها أمامي.

- حسنا انسي أمرها.

- إنها تشرب ولازال الوقت مبكرا كثيرا على الشرب.

- عزيزتي، من شرب كأسا من التكيلا بالأمس وكان الوقت ظهرا على ما أتذكر؟ دعكِ عنها وأخبريني ماذا ستأكلين؟

طلبا الطعام الذي لم يتأخر طويلا وبدءا يأكلان في صمت، ويرتشفان عصير البرتقال الطازج من حين إلى آخر إلى أن انتهيا من الطعام.

نظرت ليندا إليه وقالت:

- هل قررت ماذا سنفعل بقية اليوم.

- لم أقرر بعد.

- هل تعلم أنك جئت بنا إلى أكثر الأماكن مللا يا عزيزي.

- ربما، يكفي أن نقضى الوقت معا.

ابتسمت بسعادة حقيقية وقالت:

– هذا أكثر من كافي.

لم يقوما على الفور بل طلب آدم كوبا مزدوجا من الإسبرسو بينما طلبت ليندا كوبا آخر من عصير البرتقال.

في ذلك الوقت كانت الفتاة التي لم تكن سوى ياسمينا قد انتهت من الشراب وقررت الرحيل.

كان هناك باب منفصل من البار إلى الشارع مباشرة ولكن ياسمينا لم تلحظه حيث كانت قد دخلت إلى البار عن طريق المطعم فعادت من حيث جاءت لتمر خلف ليندا ومباشرة أمام أعين آدم.

ما أن رآها آدم حتى انتفض وكادت القهوة أن تنسكب على ملابسه لولا أنه وضعها مسرعا على الطاولة وتمتم غير مصدق:

– إنها هيً.

لم تفهم ليندا عما يتكلم وما حدث له فجأة فقالت:

– هيَ من؟ ولماذا انتفضت بهذا الشكل؟

– أترين تلك الفتاة التي تغادر المطعم؟

– نعم، إنها تلك الفتاة التي أحدثك عنها منذ الصباح.

– لا، ليس هذا ما أقصد، إنها هيَ.

– هيَ من؟! قالتها حانقة.

– إنها ياسمينا، فتاة حازم..

قالت بلهجة غاضبة وبصوت مرتفع قليلا:

– حازم مرة أخرى، ألم ننته من هذا الموضوع؟

قال آدم بهدوء محاولا التهدئة من غضب زوجته:

– اهدئي يا حبيبتي، أتذكرين عندما طلبت مني أن أنسى هذا الأمر إذا لم أتلق ردا على رسالتي إليه؟

– نعم، أذكر هذا.

– حسنا، هذا ما فعلته وكنت قد نسيت بالفعل كل شيء عن الأمر عندما لم يأتني الرد، ولكن..

– ولكن ماذا؟

– ولكن الآن يمكننا أن نعرف بسهولة، هل كل ما رأيته حقيقيًّا أم مجرد هذيان، أرجوك استمعي إلي حتى النهاية، هل تدركين الأمر؟ لقد جئنا إلى هنا دون سبب، وفجأة ظهرت ياسمينا أمامنا وهي كما أخبرتك من قبل صربية، الأمر أكبر من أن يكون مصادفة، الأمر يبدو قدريا.

– أولا أنت تفترض أنها ياسمينا بالفعل، ثانيا لم أكن أعلم أنك تؤمن بالقدر.

– أنا حقا لم أعد أعلم بما أؤمن.

ثم صمت قليلا وأردف:

– دعينا من هذا الآن، فلنبحث عنها وسنعرف كل شيء، ألا يثير الأمر فضولك؟

– حسنا، سأسير معك في هذا الأمر حتى النهاية ونرى، ولكن كيف سنفعل هذا هل سنسألها هل أنت ياسمينا فتاة حازم.

– دعينا نجدها أولا ثم نقرر ماذا نفعل.

على أثر ذلك قاما بدفع الحساب وانطلقا مسرعين في أثرها.

الفصل السابع

01

أخذ آدم وليندا يحثان الخطى في الاتجاه الذي سارت فيه ياسمينا.

كان آدم قد لمحها وهي تتجه مجددا ناحية المحيط، لذا كان مطمئنا نسبيا أنه سيجدها في مكان ما على الشاطيء.

وصلا إلى الشاطئ وبدءا يبحثان عنها بحذر حتى لا تنصرف دون أن يشاهداها.

بعد بحث دقيق استمر لما يقرب من ربع الساعة، وجداها جالسة على الرمال في مكان منزوٍ بعيدا عن الأنظار مستندة بظهرها على الحائط الفاصل بين الممر الخشبي ورمال الشاطيء.

شعر آدم بالراحة عندما وجداها ووقفا على مسافة آمنة وبدأ يناقش مع زوجته الخطة المثالية للتعرف عليها دون أن يتسببا بإحراج أنفسهما لو كان مخطئا.

ظلا يقلبان العديد من الخطط من كافة الزوايا وفي النهاية قالت ليندا بملل واضح ملوحة بأيديها:

– دعك من كل هذا الهراء، اذهب واحضر القهوة لثلاثتنا.

- ماذا تقولين؟ هل أحضر لها قهوة قبل أن نتعرف إليها؟ وماذا ستفعلين أنت؟

- سأتعرف عليها وستأتي لتجدنا جالستين هنا بانتظار القهوة.

وأشارت بيدها نحو الأماكن المخصصة للجلوس على السلم العريض.

- وكيف ستقومين بهذا؟

- هذا ليس من شأنك. اذهب الآن ولا تضيع المزيد من الوقت.

تركها في حيرة وذهب لينفذ ما قالته.

دخل إلى eleven7 وقام بإحضار ثلاثة أكواب من القهوة وعاد ليجدهما جالستين حيث أشارت زوجته تماما.

كان يشعر بالذهول ويتساءل كيف فعلت زوجته هذا.

اقترب منهما وهو يشعر بقلبه يكاد يقفز من موضعه، حاول السيطرة على نفسه قدر استطاعته وهو يقترب بينما التفتت إليه زوجته وأشارت إليه بيدها طالبة منه الحضور.

ما إن وصل إليهما حتى ابتدرته ليندا قائلة:

- هذه ياسمينا، اسم جميل أليس كذلك، لقد تعارفنا للتو.

ثم التفتت إلى ياسمينا وقدمت زوجها.

- وهذا زوجي آدم.

نظر آدم إليها ولا زالت حالة الذهول مسيطرة عليه، وأحست ليندا بذلك فأردفت:

- شكرا على القهوة.

أعاده هذا إلى الواقع فناولهما القهوة وجلس بجانب زوجته صامتا، كان عقله مشغولا ويتساءل عما حصلت عليه ليندا من معلومات أثناء غيابه.

- من أين أنت؟

قالها آدم بشيء من الاندفاع، فوكزته زوجته بكوعها ولكن ياسمينا أجابت ببساطة:

- أنا كندية ولكني صربية الأصل.

أخذت ليندا المبادرة هذه المرة قبل أن يتهور زوجها بحماقة، فسألتها:

- هل أنت في إجازة هنا أم عمل؟

- في الواقع كنت هنا في عمل، ولكني سأسافر خلال أيام.

- أنهيت مهمتك هنا إذا، وستعودين إلى كندا؟

- ليس بالضبط.

رأت التساؤل في أعينهما فشربت جرعة كبيرة من كوب القهوة وأردفت موضحة:

- أنا أعمل ممرضة، ولقد جئت هنا منذ شهرين تقريبا للعمل بإحدى المستشفيات المتخصصة في العلاج من السرطان، ولكنني لم أتأقلم مع المكان فتركت العمل.

لاحظت أن وجه ليندا أصبح شاحبا جدا، وظهر حزن عميق على وجه زوجها، فنظرت إليهما حائرة وقالت:

- هل أنتم بخير؟

- هل هذا المستشفى هو **Hope for Cancer**؟

كان آدم هو من قام بإلقاء السؤال، فأجابته ياسمينا:

- نعم، هل تعرفونها؟

لم تستطع ليندا التماسك وبدأت في البكاء فأحاطها آدم بذراعه وقال إلى ياسمينا موضحا:

- لقد فقدنا ابنتنا منذ أيام قليلة.. لقد كانت مصابة بالسرطان.. وكانت تعالج في الفترة الأخيرة بتلك المستشفى ولكن يبدو أن الأوان كان قد فات.

شعرت ياسمينا بالصدمة، ولمعت فكرة في رأسها فقالت:

- أوه، أنا حقا آسفة، هل جودي هي ابنتكما؟

* * *

02

شعرا بدهشة حقيقية من سؤال ياسمينا، فالتفتت إليها ليندا وهي تكفكف دموعها:

- كيف عرفتي ذلك؟

- مجرد توقع، لقد عرفت بالخبر من ميشيل وكان دكتور توني قد عرض عليَّ صور للمرضى في يومي الأول ولم يكن هناك أطفال سوى ابنتكما.. أنا حقا آسفة.

واحتضنت ليندا التي بدأت في البكاء مجددا، وأخذت تربت على ظهرها بحنان وهي تبكي معها.

شعر آدم بالإحراج من هذا الموقف خاصة أنهم أصبحوا موضع انتباه الموجودين بالمكان وبدأوا يراقبوهم بفضول، فقال لهما:

- حسنا، هذا يكفي، لقد أصبحنا محط أنظار الناس.

اعتدلتا وكفكفتا دموعهما، فقال لهما آدم:

- هل يمكننا أن نذهب ونجلس في مكان ما؟

نظرت إليه ياسمينا في حيرة وتساءلت بينها وبين نفسها ولماذا نجلس في مكان ما؟ ألا يجب أن نفترق الآن؟ نحن لسنا أصدقاء حتى وقد تعرفنا للتو، ولكنها قالت:

– لقد أوشكت الشمس على المغيب، وما جئت هنا إلا لمشاهدة الغروب.

شعرت ليندا بمحاولات زوجها اليائسة لمعرفة ما يريد معرفته، وشعرت أن ياسمينا تريد الانفراد بنفسها فقالت في محاولة للمساعدة:

– إنه منظر جميل بالفعل. ثم التفتت إلى ياسمينا وقالت:

– لقد تطفلنا عليك بما فيه الكفاية، وأظنك تفضلين البقاء وحيدة عن البقاء بصحبة زوجين حزينين لوفاة ابنتهما.

تلعثمت ياسمينا وقالت:

– لا، ليس الأمر هكذا، يسعدني حقا البقاء معكما، أنتما لطفاء حقا، وقد قضيت ما يكفيني من وقت وحيدة، وربما أكثر مما ينبغي.

شعرت ليندا أن الفرصة أصبحت سانحة لتضرب ضربتها فقالت:

– أنت أيضا لطيفة حقا، هل لي أن أسألك سؤالا شخصيا إلى حد ما؟

– لا بأس بذلك، تفضلي.

– كيف لفتاة جميلة ولطيفة مثلك أن تكون وحيدة؟ أراهن أن لك صديقا يحترق لهفة وشوقا لرؤيتك في كندا.

قالت ياسمينا بأسى واضح:

– هذا ليس صحيحا للأسف، فليس لي صديق في كندا أو في أي مكان آخر.

- هذا غريب، عذرا لتطفلي، هذا بالتأكيد ليس من شأني.

- لا بأس، لقد كان لي صديق في السابق ولكننا انفصلنا منذ فترة طويلة ولم أنجح بعد في تجاوز الأمر.

- في صربيا؟

- معذرة؟

- أقصد هذا الصديق كنت تعرفينه عندما كنت تعيشين في صربيا.

- في الواقع هو ليس صربيا، بل مصريا، ولكن هذه قصة طويلة.

قالت هذا وفي نيتها أن تنهي الحديث حول هذا الموضوع وأن تعتذر وتنصرف خاصة أن الرجل لا يبدو على ما يرام ويبدو أنه يقوم بمجهود شاق للسيطرة على نفسه ولكنها ما أن أنهت جملتها الأخيرة حتى فقد آدم السيطرة على نفسه تماما وبادرها قائلا بصوت خافت:

- أنت تتحدثين عن حازم، أليس كذلك؟

* * *

03

لأول وهلة أحست ياسمينا أنها تهذي ولم تسمع آدم وهو ينطق باسم حازم، ولكنها ما لبثت أن تيقنت أنها سمعت الاسم جيدا، لقد اخترق الاسم كيانها كله.

نظرت إليهما في فزع واضح وانتفضت وقامت في محاولة للابتعاد

عنهما، ثم قالت بغضب واضح:

– من أنتما حقا؟

نظرت ليندا إلى آدم نظرة تعني " لم أعد قادرة على فعل المزيد، الأمر بيدك الآن ".

فهم آدم نظرة زوجته، فنظر إلى ياسمينا وتكلم بلهجة بذل كل ما بوسعه فيها لتكون هادئة ليعيد ياسمينا إلى هدوئها:

– أعلم أن الأمر يبدو غريبا، ولو جلستي سأقص عليك كل شيء بصدق كامل.

– أريد أن أعرف أولا، كيف عرفت حازم وكيف تعرفت عليّ؟

– اجلسي وسأخبرك بكل شيء، أرجوك لا تصابي بالذعر الآن.

– حسنا. وجلست على مسافة آمنة نسبيا وقد قررت أن تغادر فورا إذا شعرت بأي سوء.

كان آدم قد أعد في رأسه الطريقة التي يجب عليه أن يحكي بها قصته.

– حسنا، أريدك فقط أن تستمعي إليّ حتى النهاية لأن القصة بها الكثير من الأشياء من الصعب تصديقها وأقسم لك أن كل ما سأقوله هو الحقيقة كاملة.

" كان أبي دبلوماسيا وانتقل للعمل في سفارتنا بالقاهرة، كنت وقتها

قد أنهيت الدراسة في المدرسة الثانوية ولكني لم ألتحق بالجامعة بسبب خلافات بيني وبين والدي، وفي النهاية سافرت معه إلى مصر والتحقت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، بعد أن أنهيت دراستي في عام **2004** رفضت العمل الذي عرضه أبي عليّ وظللت أتسكع في القاهرة لفترة طويلة.

في منتصف شهر مارس من عام **2006** كنت عائدا من الساحل الشمالي ومتوجها إلى الإسكندرية في وقت متأخر جدا، وعلى جانب الطريق وجدت حازمًا يشير إليّ فتوقفت له، أخبرني بكلمات متعثرة أن أباه قد مات للتو وأنه يحاول العودة إلى القاهرة، فشعرت بشفقة نحوه وقررت أن أقله حتى بيته ".

ارتعشت ياسمينا قليلا عند سماعها الجزء الأخير ولكنها تمالكت أعصابها، وعاد آدم يكمل قصته:

" ركب إلى جواري وانطلقت مسرعا بالسيارة، وبعد دقائق حدث لنا حادث مريع وانقلبت السيارة عدة مرات، وذهبت في غيبوبة عميقة ".

قاطعته ياسمينا بجزع واضح:

– وماذا حدث لحازم؟

– لم أعرف وقتها ما حدث له، فعندما أفقت من الغيبوبة كنت قد فقدت ذاكرتي تماما ولم أتذكره مطلقا.

– إذن كيف التقيتم مجددا.

- هذا معقد، في الواقع لم أقابله مرة أخرى.

- ما المفترض أن يعني هذا؟!

- دعيني أنهي قصتي وستعلمين كل شيء، ولكن قبل أن أكمل أريدك أن تستمعي إلى النهاية قدر استطاعتك فما سأقوله سيكون من الصعب تصديقه.

- حسنا، أنا أستمع.

- " حسنا، لقد أخبرتك أنني عندما أفقت من الغيبوبة لم أكن أذكر أي شيء عن حياتي، لقد كانت أياما عصيبة وكنت معتمدا بشكل كامل على ما يخبرني به أبي من تفاصيل عن حياتي، وفي الحقيقة هو لم يكن يعرف الكثير عني، ونتيجة لذلك لم أستعد ذاكرتي.

حتى لا أطيل عليك في تفاصيل لا تهمك في شيء، ظللت في القاهرة عدة شهور بعد الحادث ثم عدت إلى أمريكا وتعرفت على ليندا وتزوجنا وأنجبنا جودي.

كما تعرفين كانت جودي تتلقى العلاج هنا في هذا المستشفى ومنذ ثلاثة أشهر في الليلة السابقة لعودتنا مباشرة حدث شيء عجيب ".

* * *

04

اعتدلت ياسمينا وبدأت تصغي باهتمام في انتظار معرفة العلاقة بين

آدم وحازم.

بينما صمت آدم قليلا محاولا اختيار الكلمات المناسبة لشرح هذا الجزء من القصة.

– " كنت أقف هناك مباشرة (وأشار إلى الممر الخشبي في الأسفل) وكنت متكئا على السور الخشبي دافنا رأسي بين يدي ولكنني في تلك اللحظة لم أكن آدم بل كنت حازم ".

– أنت تمزح أليس كذلك؟

– في الواقع لست أمزح، ليس من السهل شرح الأمر، حسنا سأبدأ من مكان آخر وسأحكي لك القصة من جهة حازم.

وبدأ يحكي قصة حياة حازم بالتفصيل، مرورا بلقائه الأول مع ياسمينا وكل ما تلاها من أحداث، كان يحكي الأحداث التي جمعت بين ياسمينا وحازم بتفاصيل دقيقة لا يعلمها سواهما حتى وصل إلى الجزء عندما اختفت ياسمينا فجأة وبدأ يستفيض في شرح حالة حازم في تلك الفترة واقترابه كثيرا من الجنون، ثم نظر إلى ياسمينا ليكتشف وقع الكلمات عليها.

كانت مشاعر ياسمينا متناقضة، كانت حزينة لما سببته من ألم لحازم وغاضبة أيضا لأنه أخبر شخصا غريبا مثل آدم كل هذه التفاصيل الخاصة

بهما.

وجدها آدم صامتة تماما فأكمل حديثه:

- " بعد شهرين من اختفائك، قرر حازم الاستمرار في حياته والتأقلم معها وسارت حياته بشكل طبيعي حتى تخرج وبدأ رحلة البحث عن عمل.

لم يكن الأمر سهلا وظل عدة أشهر يبحث عن عمل وفي النهاية وجد عملا في مشروع جديد بالساحل الشمالي.

بعد أن قضى أسبوعين من العمل هناك، ذهب إلى الشاطئ المهجور ووقف يراقب غروب الشمس كما اعتاد أن يفعل يوميا، ولكنه فجأة شعر بدوار فأغمض عينيه وأراح رأسه بين يديه وعندما فتح عينيه بعد قليل وجد نفسه يقف هناك (وأشار إلى الممر الخشبي في الأسفل مرة أخرى) ".

- وكيف حدث هذا؟!

- هذا لم يحدث بالطبع، فحازم لم ينتقل من الساحل الشمالي إلى تيخوانا في غمضة عين، لقد كنت أنا من يقف هناك ولكني كنت أمتلك ذاكرته ومشاعره هو.

- هذا غير منطقي، هذا كذب سيء.

- هذه هي الحقيقة، لقد أخبرتك للتو بتفاصيل لا يعلمها سواكما وتغاضيت عن الكثير من التفاصيل التي قد تسبب لك الإحراج، استمعي إليّ

حتى النهاية ثم يمكنك أن تصدقيني أو تكذبيني الأمر سواء بالنسبة إلي.

– حسنا أكمل حكايتك.

– " عندما وجدتني هنا انتابني الفزع وأخذت أهيم في الشارع بغير هدى إلى أن وجدني دكتور توني وأخذني إلى داخل المستشفى عندما فقدت الوعي، هناك وجدت ليندا وطلبت مرآة أحضرها لي دكتور توني بنفسه، ويمكنك أن تسأليه لتتأكدي بنفسك، وعرفت أنني لست حازم بل آدم.

كان الأمر شاقا عليّ ولم أفهم كيف يمكن أن يحدث شيء مثل هذا، وبدأت أتعرف رويدا رويدًاعلى حياة آدم ولكنني لم أكتشف علاقتي بحازم إلا فيما بعد ".

– وكيف هذا؟

– عندما فتشت في جهاز الكمبيوتر الخاص بي وجدت ملفا باسم حازم كتبت فيه أنه تراودني أحلام غريبة منذ فترة أعيشها كشخص اسمه حازم، وكتبت أيضا تفاصيل تلك الأحلام التي تنتهي بالحادث.

– الحادث الذي أصابكما معا.

– نعم، هذا الحادث، ولكن بعد اكتشافي ذلك بقليل أصبت بسكتة دماغية نتيجة ترشيح في المخ، وقضيت يومين في غيبوبة، ورأيت حازمًا مجددا.

" كان الوقت صيفا وكان قد مر على الحادث عدة شهور، وكان حازم في حالة سيئة ويستخدم عكازين وكان قد جلس على جهاز الكمبيوتر الخاص به وبدأ يتفقد بريده الإلكتروني عندما انتفض فجأة كمن أصابته صاعقة، فأغلق الكمبيوتر وتمدد على الفراش حزينا بشكل مبالغ فيه وبدأ يبكي في صمت ".

لاحظ آدم الحزن الذي انتاب ياسمينا ولكنه تجاهل الأمر لينهي قصته:

- بعدها تذكرتُ كل شيء بغتة وعادت إليَّ ذاكرتي بشكل كامل.

* * *

05

ساد الصمت بعد أن أنهى آدم قصته.

كان الليل قد حل منذ فترة وأصبح الجو لطيفا جدا، وبدأت نسمات الهواء المنعش تداعبهم وتحرك شعر المرأتين.

كان آدم يشعر براحة كبيرة لأنه كان على حق وأن كل ما رآه وعرفه عن حازم كان حقيقيا، وبدأ يفهم الهدف من وراء كل هذا، لقد كان مقدرا له هو أن يقابل ياسمينا وكان عليه أن ينقل لها مشاعر حازم بأمانة.

لم يكن يهتم حقا أن تصدقه أو تكذبه، هدفه كان التأكد أن ما شاهده حقيقي وليس هلوسة وهذيان، وقد تأكد بالفعل..

ربما يحاول التواصل مع حازم مرة أخرى، ولكنه هذه المرة سيكون أكثر هدوءًا وأقل ترقبا من المرة السابقة.

كانت ليندا تشعر بالملل من سماع القصة للمرة الثانية ولكنها شعرت بأن زوجها أصبح سعيدا بعد اكتشافه أنه كان على صواب ولا يهذي، وشعرت أنها مدينة له باعتذار لأنها لم تصدق الأمر وحاولت إقناعه بأن الأمر مجرد أضغاث أحلام ولكنه كان على حق في النهاية، صحيح أن الأمر غير منطقي وغريب ولكنه حدث بالفعل.

أمسكت يد زوجها وضغطت عليها ثم مالت برأسها واستندت إلى كتفه.

أما ياسمينا فقد كانت في حالة يُرثى لها، كانت عاجزة عن التفكير وتشعر بدوار قوي، ولا تدري هل تصدق كل ما سمعت أم تكذبه.

القصة برمتها صعبة التصديق ولكن التفاصيل التي ذكرها آدم كانت دقيقة إلى حد يثير الدوار، كذلك لهجته كانت صادقة تماما واستشهاده بدكتور توني يعني أنه صادق كل الصدق لأنه يعرف حتما أنها يمكنها أن تسأله وتكتشف كذبه.

حاولت أن تقول شيئا ما ولكنها شعرت بالاختناق ولم تخرج الكلمات من فمها، كانت تتوقع أن يكون حازم قد تألم بعد تركها له ولكنها الآن

تعرف كيف تألم حقا، وشعرت بالحزن من أجله وبالشفقة تجاه نفسها.

لقد أخذت قرارها منفردة، وتحملت المرارة طوال سنوات، ولكنها لم تتألم وحدها بل جعلت أكثر إنسان أحبته يتألم مثلها وربما أكثر، على الأقل هي من اتخذت القرار بينما تركته هو دون توضيحات أو مبررات.

كانت مشتتة تماما، ولا تدري ماذا عليها أن تفعل الآن، هل تحاول التواصل معه مجددا، وهل سيستجيب لها، لقد تجاهل رسالتها الأخيرة تماما، ربما يكون قد نسيها تماما وقد يكون الآن متزوجا ولديه أطفال.

شعر آدم بشفقة على ياسمينا، كانت تبدو في حالة سيئة جدا، فأردف:

- هناك شيء أخير، لقد حاولت التواصل مع حازم منذ ثلاثة أشهر تقريبا وأرسلت له رسالة عبر البريد الإلكتروني ولكنني لم أتلق منه ردا حتى الآن.

قالت ياسمينا بصوت غير مسموع:

- أنا أيضا لم أتلق ردا.

- معذرة لم أسمعك.

- لقد أرسلت له رسالة أنا الأخرى ولكني لم أتلق منه ردا.

- متى كان ذلك؟

– في منتصف شهر يونيو من عام 2006.

– هل يمكن أن يكون الأمر كما أظن؟

– لا أفهم.

– لقد أخبرتك أنني عندما رأيته في غيبوبتي الأخيرة كان يتفقد بريده الإلكتروني وفجأة انتفض، ربما تكون رسالتك هي السبب وراء ذلك خاصة أن التاريخ الذي ذكرتيه كان بعد الحادث بثلاثة أشهر.

– ربما، لقد كان توقيتا سيئا بالفعل.

– أظن ذلك، أرى أنك تصدقينني، هل لي أن أسألك ماذا تنوين أن تفعلي الآن؟

– حقا لا أعرف.. لا أعرف.

وساد الصمت مجددا.

* * *

06

تأخر الوقت، وشعر آدم أن حالة ياسمينا أصبحت سيئة حقا فعرض عليها أن يقوما بمرافقتها حتى مسكنها ولكنها رفضت بإصرار وقامت لتنصرف وحيدة.

قبل أن تنصرف تبادلوا أرقام التليفونات حتى يستطيعوا التواصل مستقبلا.

انصرفت ياسمينا بينما ظل آدم وليندا جالسين في مكانهما ولاتزال ليندا مستندة على آدم بينما طوقها هو بذراعه.

– بما تشعر الآن يا عزيزي؟

– أشعر بالراحة، أشعر براحة كبيرة.

– أنا آسفة!

– على ماذا؟

– لأني لم أصدق كل هذا منذ البداية، وحاولت التأثير عليك أيضا.

– لا عليكِ يا عزيزتي، الأمر غريب بالفعل وليس من السهل تصديقه.

– ماذا تتوقع أن تفعل ياسمينا؟

– حقا لا أعرف، هي في موقف لا تحسد عليه، لقد تركته بإرادتها الحرة وبدا واضحا لي أنها لا تزال مغرمة به ولا تستطيع الدخول في علاقة جديدة، وفي نفس الوقت لا يمكنها ببساطة التواصل مع حازم ليعودا إلى بعضهما البعض، ربما يكون قد نسيها وربما يكون لايزال مجروحا. صدقيني لا أود أن أكون في مكانها أبدا.

– وماذا ستفعل أنت؟

– أنا! لا شيء، لم أعد مهتما، ربما أحاول أن أعرف ما حدث في المستقبل من باب الفضول ليس إلا وربما لا أفعل.

- حسنا، لقد أصبح الوقت متأخرا والجو أصبح أكثر برودة، هلا عدنا إلى الفندق؟

- هيا بنا.

وانطلقا إلى الفندق متمهلين، وتحدثا قليلا قبل النوم وقررا أن يسافرا عائدين إلى منزلهما في الصباح.

كانت ياسمينا لاتزال في سيارة الأجرة التي تقلها إلى مسكنها، كانت شاردة تماما، وعبثا حاولت السيطرة على تفكيرها دون جدوى.

كانت تشعر بدوار وأنها مرهقة ومريضة وبالكاد صعدت إلى سكنها وارتمت على فراشها بملابسها كاملة واستسلمت للدوار حتى غرقت في النوم وبدأت تحلم أحلامًا أشبه بالهذيان.

كانت محمومة، وكانت تحلم أنها تسقط في بئر مظلم عميق بلا قرار، ووجوه من تعرفهم معلقة حولها تبتسم ابتسامات مخيفة وهي تسقط.. وتسقط.

ثم بدأوا يضحكون، ضحكات عالية مجلجلة ورأسها يكاد ينفجر من الألم، وهي تتمنى أن تصل إلى نهاية البئر وتتحطم رأسها بدلا من هذا العذاب ثم دوى صوت رنين مألوف وبدأت تشعر أن الضوء بدأ ينير البئر قليلا واختفى كل شيء بغتته وفتحت عينيها.

لأول وهلة لم تعرف أين هيَ، وظلت تحملق إلى الفراغ لبعض الوقت ثم سمعت صوت الرنين المكتوم لهاتفها آتيا من حقيبتها ولكنها لم تتحرك من مكانها وظلت مستلقية شاعرة بإنهاك وإرهاق بلا حدود، ثم خلدت إلى النوم مجددا.

* * *

07

كان المساء قد حل عندما استيقظت، منهكة تماما ومشوشة الفكر خلعت ملابسها التي لم تبدلها منذ الأمس ودلفت إلى الحمام ووقفت طويلا تحت المياه الباردة للدش.

غادرت الحمام وارتدت ملابس خفيفة وأعدت لنفسها وجبة خفيفة، وأخذت تأكل وهي شاردة البال.

شعرت بضعف وآلام بجسدها كله فعلمت أنها مريضة وربما تكون حرارتها مرتفعة قليلا، أخذت دواءً تحتفظ به لحالات طواريء مثل هذه، ثم أعدت كوبا من القهوة وأحضرت هاتفها لتجد أن الساعة قد جاوزت الثامنة مساءً وأنها قد تلقت العديد من الاتصالات من المستشفى طوال النهار.

لم تكن قادرة على التحدث، لذا أرسلت رسالة نصية إلى دكتور توني تخبره فيها أنها مريضة وربما لن تستطيع أن تذهب إلى المستشفى ما بقي

لها من أيام معدودات، واعتذرت له عن عدم قدرتها على الكلام ولهذا ترسل له رسالة نصية بدلا من مهاتفته.

بعد ذلك أغلقت التليفون وألقت به على الأريكة حيث كانت تجلس، وبدأت ترتشف قهوتها وتحاول ألا تفكر في أي شيء.

كانت تشعر بالشفقة على نفسها، وبدأت دموعها تنساب رويدا رويدا ثم تحول بكاؤها إلى نشيج قوي.

جعلها البكاء تشعر بتحسن نوعا ما، وبدأت تفكر بصورة أفضل، وأخذت تفكر كثيرا عما يجب عليها أن تفعل الآن وفي النهاية قررت أن تغادر المكسيك في أقرب وقت ممكن.

ظلت مستيقظة حتى الصباح، تتأرجح مشاعرها مع أفكارها المسترسلة، تبكي أحيانا وتبتسم أحيانا وباتت قريبة جدا من الجنون.

وأخيرا لاح الصباح، فبدأت اتصالاتها بشركة الطيران في محاولة لتبكير موعد سفرها، الأمر الذي لم يكن سهلا، وفي النهاية استطاعت الحجز على الطائرة المغادرة في التاسعة مساءً إلى مطار شارل ديجول بباريس في رحلة تستغرق عشر ساعات ولكنها ستصل باريس عصر الغد نظرا لفروق التوقيت وسيكون عليها أن تبيت ليلتها في باريس ثم تأخذ طائرة السابعة صباحا نحو بلغراد.

أخذت تعد حقائبها سريعا فالطريق إلى مطار سان دييجو يأخذ الكثير من الوقت نظرا للازدحام الكبير على الحدود بين تيخوانا وسان دييجو، ولهذا طلبت سيارة لتقلها إلى المطار في تمام الساعة الثانية ظهرا.

وفي الموعد تماما وصلت سيارتها. وضعت أمتعتها وبدأت الرحلة.

الفصل الثامن

01

وقف حازم شاردا يراقب أخاه وهو يعبر بوابة السفر في مطار القاهرة حاملا ابنته الصغيرة وبجواره تسير زوجته الفنلندية.

ما أن مر كريم من البوابة حتى التفت إلى حازم وأشار إليه مودعا، ولم يستطع حازم أن يمنع الغصة التي شعر بها.

وقف يراقبهم حتى اختفوا عن ناظريه، ثم غادر المطار إلى سيارته وقادها إلى لا مكان.

كانت الساعة قد تخطت الحادية عشرة مساءً وبدأت حركة السير تتحسن قليلا وإن ظلت الشوارع مليئة بالسيارات.

أخذ يقود سيارته حتى مل من الزحام فأخذ طريق عودته إلى مسكنه.

كان يسكن في شقة صغيرة في منطقة هادئة بالقاهرة الجديدة كان قد استأجرها منذ ما يزيد عن العامين في نهاية عام **2010**.

كان يشعر بالضيق والاختناق، فدلف إلى الشرفة وجلس على كرسيه وأخذ يراقب النجوم في السماء الصافية.

تذكّر أن أخاه يعمل في مجال علوم وتكنولوجيا الفضاء فشعر بالسخرية

وتذكر أن أخاه لم يحدثه مطلقا عن عمله وهو أيضا لم يسأله.

ما لبث أن شعر بالملل، فعاد إلى الداخل ووضع شريطا لأغنية الأطلال لأم كلثوم وأعد كوبا من القهوة وأخذ يستمع إلى الأغنية في شرود.

طوال سنوات حياته التي تقترب من الثالثة والثلاثين لم يستطع اكتشاف الشيء الذي يود أن يفعله، ظن لفترة يعتقد أنه يريد أن يكون كاتبا ولكن كل محاولاته فشلت فنسي الأمر، ولكنه في هذه اللحظة شعر بحاجة ملَحة إلى الكتابة فأحضر دفترا وقلما وقد واتته فكرة بدت له جيدة.

* * *

لم يكن يحب الكتابة على الكمبيوتر ويشعر أن الكلام خال من الروح وكان يفضل الكتابة على الورق، الكتابة الحقيقية كما يسميها.

أمسك بالقلم وأخذ ينظر إلى الصفحة البيضاء لحظات وبدأ يكتب:

مقدمة

منذ فترة بعيدة ظننت أن الكتابة تناسبني وما لبثت أن اكتشفت خطئي فتوقفت عن المحاولة.

طوال عمري لم أعرف ماذا أريد أن أفعل في حياتي، ولذلك بدلا من كتابة رواية سأكتب حكايتي عسى عندما أخرجها من رأسي وأضعها على الأوراق أستطيع التعرف على نفسي بشكل أفضل ووقتها يمكنني أن أعرف ماذا أريد حقا.

إذن فما أكتبه هنا موجها إليّ أنا وليس إلى أحد سواي، لذلك لن ألتـزم بترتيب زمني منتظم، بل سأكتفي بذكر ما يلح عليَّ من أحداث حتى تتـضح ليَ الصورة قدر الإمكان.

بعدها قام بقلب الصفحة وبدأ في الكتابة مجددا؛

حسنا، أظنني سأبدأ من النهاية، من الآن، عدت منذ قليـل مـن المطـار حيث كنت أقوم بتوصيل كريم أخي وزوجتـه وابنتـه الرضـيعة، سـأبدأ إذن بحكايتي مع كريم أخي الوحيد والشخص الوحيد على وجـه الكوكـب الـذي يمت لي بصلة قرابة.

في نهاية عام 2007 جاءني اتصال منه، كنـت وقتهـا أعمـل مهندسـا بشركة مقاولات في إحدى مشروعاتها بمدينة مرسى علـم، وكنـت قـد عـدت من الأجازة منذ يومين لذا كنت أشعر بالدهـشة مـن مكالمتـه لـي لأننـا لـسنا معتادين على الحديث تليفونيا إلا على فترات متباعـدة وأحيانـا لا نتحـدث مطلقا حتى أعود إلى البيت في أجازة.

من اللحظة الأولى من كلامه شعرت أنه يريد إخبـاري بـشيء هـام وقـد انتظر حتى أسافر حتى لا يحدثني وجها لوجـه وأحـزنني هـذا فعـلا، وقـد كنت أنزعج حقا كلما اكتشفت أن أحدا يخشى أن يكلمني خوفا من ردة فعلي التي أصبحت عنيفة منذ فترة طويلة.

تركته يتحدث حتى أنهى كلامه دون أن أقاطعه، الأمر الذي أثار دهشته وظل يسألني كلما أنهى جزءا من كلامه إذا كنت أتابع فكنت أفهمهم بأني أتابع.

والقصة باختصار أنه منذ أن تخرج من عدة أشهر وهو يراسل جامعات أجنبية من أجل أن يكمل دراسته في الخارج، كان يبحث عن منحة، وأنوه هنا أن كريمًا كان مجتهدا في دراسته إلى حد مبالغ فيه على عكسي تماما، المهم أنه وجد أخيرا ضالته في جامعة بفلندا ستعطيه منحة جزئية لعمل ماجستير في علوم وتكنولوجيا الفضاء، والخلاصة أنه سيحتاج إلى مال يساعده على دفع المصاريف المطلوبة منه بالإضافة إلى مصاريف السفر والإقامة.

كان يحتاج إلى مبلغ كبير لا نملكه ولكنه فكر في الأمر كثيرا ولم يكن هناك حل سوى أن نبيع شقة أبوينا وأكد أنه سيكفيه نصف ثمنها وسيستطيع تدبر أمره.

لم أقاطعه حتى انتهى كما ذكرت سلفا وفي النهاية قلت جملتي الوحيدة في هذه المكالمة الطويلة، قلت له: افعل ما تشاء، معك توكيل مني، وخذ ثمن الشقة كله فلا أحتاجه. وأغلقت الخط.

لم يحزنني أنه سيسافر، ولم يحزنني أنه يريد بيع شقتنا، ما

أحزنني حقا هو أنه خطط وقرر دون أن يستشيرني ولم ألـتمس لـه العـذر في هذا الأمر أبدا، لقد حدث شرخ عميق في علاقتنـا منـذ هـذا الوقـت ولم تفلـح السنوات في علاجه.

باع الشقة وترك لي نصيبي و كراكيبي مع طارق صديقي وسافر قبـل أن أعود في أجازتي التالية.

بعدها بعامين أنهى الماجستير — لقد كان مجتهدا حقا — ووجـد عمـلا هناك وتزوج من زوجته الفنلندية.

كان يحادثني تليفونيا كل عـدة أشـهر تـزداد مـع الوقـت ولم أره إلا في بداية يناير من عام 2011 عندما جاء لزيارتي وحيـدا دون زوجتـه، وكـان لم ينجب بعد، في أجازة لمدة يومين فقط.

تحدثنا كثيرا في أمور تافهة وتجنبنا الحـديث عـن أي أمـر هـام وكـأن اتفاقا ضمنيا قد حدث بيننا أن يـسير الأمـر علـى هـذا النحـو.. وسـافر مـرة أخرى.

ولم أره مجددا إلا منذ أيام، ولكنه جاء هذه المرة مـع زوجتـه وابنتـه، قضوا معي ثلاثة أيام ورحلوا.

* * *

02

استيقظ حازم في ساعة متأخرة كعادته منـذ أن توقـف عـن العمـل. ظـل

مستلقيا علـى فراشـه لفـترة طويلـة وأخـيرا قـام بعـد أن قـرر أن يـذهب إلى الإسكندرية.

كان كلما شعر بالضيق، هرع إلى الإسـكندرية أيـا كـان الوقـت متجنبـا أياها في فصل الصيف تماما، حيث تصبح في هذا الوقت مدينـة لا تحتمل.

أخذ دُشا سريعا وأعد حقيبته، وأخذ سيارته وانطلق.

كان يعشق الـسفر في حـد ذاتـه، لـذا لم يكـن يـسرع في القيـادة، وكـان يتوقف مرة أو مرتين في الطريق ليشرب القهوة ويراقب المسافرين الآخرين.

في هذه المرة توقـف أولا ليتنـاول الطعـام لأنـه لم يتنـاول إفطـاره بعـد والشمس اقتربت من المغيب، تلى ذلك بـشرب كـوبين مـن القهـوة وتـدخين الكثير من السجائر وعندما انطلق كان الظلام قد حل منذ فترة طويلة وهذا ما كان يفضله.

وصل إلى الفندق الذي اعتاد النزول فيه والذي كان يقع على الكـورنيش مباشرة، وحمل حقيبته الوحيدة ودلـف إلى مكتـب الاسـتقبال متـسائلا عـن وجود غرف متاحة.

أنهى الإجراءات سريعا وصعد إلى غرفته.

اغتسل وبدّل ملابسه، ثم نزل إلى الكورنيش.

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل والجو بارد قليلا في هذا الوقـت

من شهر إبريل، لذا لم يكن هناك أحد غيره.

جلس على السور الحجري ناظرا نحو البحر، وبدأ الرذاذ المالح للأمواج يداعب وجهه من حين إلى آخر، وأخذ يراقب الأنوار البعيدة لمراكب الصيد والأمواج وهي تضرب الصخور بعنف أسفل قدميه.

تمتم لنفسه؛ لقد كان قرار التوقف عن العمل قرارا ممتازا، يكفيني أنه يُمكنني الذهاب حيث أريد متى أريد.

كان بالفعل قد توقف عن العمل منذ نهاية عام 2010، بعد أن ظل يعمل بشكل مكثف لمدة أربع سنوات متتالية.

كان قد ادخر مبلغا بسيطا ولكنه وجد أن هذا المبلغ يمكن أن يكفيه لمدة عامين على الأقل بدون عمل، بالإضافة إلى أنه كان قد شارك جارا له في أعمال تجارية منذ عام 2009 وكانت هذه الأعمال تأتيه بأرباح شهرية أكثر مما يحتاج، ولذلك كانت مدخراته تزداد مع الوقت، صحيح هي زيادات بسيطة ولكنها تجعله مطمئنا أنه لن يحتاج إلى العمل في وقت قريب.

ظل جالسا لفترة طويلة حتى تيبست قدماه، فقام بصعوبة بالغة وظل واقفا لفترة طويلة حتى استطاع السير مجددا، فعاد إلى غرفته.

كان يشعر بإرهاق من السفر، وقد لعب الهواء البارد برأسه كثيرا

فغرق في نوم عميق.

* * *

03

استيقظ حازم في وقت مبكر نسبيا شاعرا بنشاط قلما شعر بـه في الآونـة الأخيرة، دلف إلى الشرفة ليتنفس هواء البحر المنعش، وقف بعـض الوقـت يستنشق الهواء المنعش بعمق ثـم تجهـز للخـروج وأخـذ معـه الـدفتر الـذي يكتب فيه وخرج.

تناول إفطاره في مطعم بسيط قريب مـن الفنـدق ثـم أخـذ يـسير بجـوار البحر حتى وصـل إلى واحـدة مـن الكافيتريـات المطلـة علـى البحـر مباشـرة وانتقى طاولة يتمكن منها بسهولة أن يشاهد البحر وجلس يـدخن ويـستمتع بقهوته ومنظر البحر، بينما يداعب الهواء المنعش للبحر وجهـه.

ثم فتح دفتره وبدأ في الكتابة؛

ها أنا أعود للكتابة مجددا وقد ظننـت أنهـا سـتكون مـرة واحـدة ولـن تتكرر، لقد كتبت المرة السابقة عن كريم، لذا أرى أنه من الواجب أن أكتـب اليوم عن طارق، صديقي الحميم وأخي الذي لم تلده أمي.

بدأت علاقتي بطارق منذ أن كنـا أطفـالا نظـرا لأننـا كنـا نـسكن الحـي نفسه، ولكن علاقتنا توطدت كثيرا مع دخولنا نفس الكلية – كلية الهندسـة – وبالرغم من أننا كنـا مخـتلفين تمامـا فيمـا يخـص الانتظـام في الدراسـة،

فبينما كان طارق طالبا مجتهدا كنت أنا لا مباليا، ربما لشعوري أن الدراسة في كلية الهندسة لا تلائمني أو ربما لكرهي للتعليم بشكل عام.

ومع ذلك أصبحنا صديقين حميمين، وكنا نلتقي على المقهى أكثر مما نلتقي بالكلية.

بعد انتهائنا من السنة الأولى من الدراسة، توفى والداه في حادث سيارة أثناء سفرهما إلى الصعيد حيث بلد أبيه الذي كان ذاهبا لبيع قطعة أرض قديمة لديه هناك بعد أن أخبره أخوه أن سعرها قد ارتفع كثيرا، وكان طارق قد رفض بإصرار الذهاب معهم لأنه كان يرى أن هذه البلدة هي أكثر بلاد الأرض مللا.

بالطبع بعد هذا الحادث كانت حالة طارق سيئة بشدة، وقد لازمته لفترة طويلة وبذلت مجهودا حقيقيا حتى نجحت في إخراجه من الحالة السيئة التي كان يعاني منها، وأعترف بأمانة أن هذا هو الموقف الوحيد الذي وقفت فيه بجانبه بينما وقف هو معي في عشرات المواقف التي مرت بي.

طارق شخصية رقيقة ومحببة، وهو الشخص الوحيد الذي تحمّلني في كل تقلباتي النفسية وما أكثرها، وهو الشخص الوحيد الذي شاهد انكساراتي وبذل كل ما بوسعه لمساعدتي.

كنا نلتقي بشكل شبه يومي قبل أن أعمل طوال سنوات في محافظات

بعيدة، ولكننا كنا نتقابل أكثر من مرة في أجازاتي، ومنذ أن توقفت عن العمل أقابله مرة كل أسبوع وأحيانا مرة كل أسبوعين وذلك لأنه قد تزوج منذ سنوات ولديه طفلان الآن، صحيح أنه لن يعترض لو طلبت مقابلته أكثر من ذلك ولكني أشفق عليه من مقابلتي أكثر من مرة أسبوعيا لأنني بصراحة أرى أن صحبتي ليست جيدة وتدعو إلى الاكتئاب.

شيء أخير قبل أن انتهي من قصة طارق، لقد انقطعت تماما عن العالم ولم أستخدم الإنترنت منذ أكثر من عام ولا أحد يملك رقم تليفوني المحمول سوى طارق، حتى أن أخي عندما أراد إبلاغي بموعد حضوره إلى مصر في المرة الأخيرة اتصل بطارق وطارق هو من قام بإبلاغي.

أظن أن هذا يكفي لهذه المرة، وربما في المرة القادمة أكتب عن أهم شخص في حياتي، وربما تكون حياتي قد آلت إلى ما هي عليه الآن بسببه.

إنني أتحدث عن ياسمينا، ولكن هذه قصة أخري أحاول تجنب الحديث عنها منذ البداية ولكني أرى أنها هي أساس قصتي.

كل ما أرجوه حقا أن أتمكن من الكتابة عنها وألا تكون هذه هيَ كلماتي الأخيرة.

* * *

04

قضى حازم أربعة أيام بالإسكندرية ما بين التسكع على الكورنيش

وشراء الكتب من باعة الكتب المنتشرين في محطة الرمل وشارع النبي دانيال، وكان يقضي وقتا طويلا على المقاهي ليقرأ في الكتب التي اشتراها.

وصل مسكنه في القاهرة الجديدة فجرا، لأنه دائما ما يفضل السفر ليلا، أفرغ حقيبته ووضع الكتب في مكتبته المتخمة بالكتب وأوى إلى الفراش.

ظل مستيقظا لفترة طويلة يفكر في حياته الخاوية، واكتشف أنه كما توقع لم يكتب شيئا عن ياسمينا وظل يتهرب من الدفتر حتى عاد إلى القاهرة، وشعر بحالة اللامبالاة التي تنتابه فجأة من كل شيء حتى وإن كان يهتم به اهتماما كبيرا في البداية.

كانت هذه مشكلة من مشاكله الكثيرة، مشكلة فقدان الاهتمام، كان يشعر بشغف قوي لفعل شيء ما ثم فجأة يفقد اهتمامه تماما بهذا الشيء ويتركه إلى شيء آخر أو حتى إلى لا شيء.

استيقظ متأخرا ليجد طارق قد حاول الاتصال به أكثر من مرة.

تجاهل الأمر مؤقتا وبدأ في طقوس الاستيقاظ الخاصة به حتى يصبح قادرا على التواصل مع الآخرين، وبعد أن انتهى اتصل به واتفق معه على اللقاء في مساء نفس اليوم الأمر الذي يعني أن عليه أن يتحرك بعد ساعة على الأكثر حتى ينجح في الوصول إلى قلب القاهرة المزدحم في موعده.

حاول حازم أن يستثمر هذه الساعة في مواصلة الكتابة في دفتره ولكنه لم يستطع وظل ينظر إلى الصفحة البيضاء شاردا حتى حان موعد خروجه فارتدى ملابسه وتوجه إلى المقهى الذي سيقابل طارق فيه.

وصل قبل موعده بقليل كعادته ليجد طارقًا في انتظاره وهذا شيء نادر الحدوث لأن طارقًا عادة ما يتأخر عن موعده.

بعد التحيات التقليدية، جلسا وبدأ كلٌّ منهما يسأل الآخر الأسئلة التقليدية التي كانت تشعر حازم بسأم ويرى أن هذه الأسئلة أصبحت خالية من المضمون من كثرة استخدامها.

– كيف حالك يا صديقي؟ سأله طارق للمرة العاشرة تقريبا.

– بخير. أجابه للمرة العاشرة أيضا.

جاءتهم القهوة، فأشعل كلٌّ منهما سيجارة وبدءا يرتشفان القهوة في صمت إلى أن قطعه طارق قائلا:

– ألا زلت لا تستخدم بريدك الإلكتروني؟

– لم ألج إلى الإنترنت منذ أكثر من عام كما تعرف. لماذا تسأل؟

– لقد جاءتني رسالة غريبة على بريدي الإلكتروني من شخص أمريكي اسمه آدم على ما أتذكر ويقول في رسالته أنه يحاول التواصل معك وأرسل إليك رسالة على بريدك ولم يتلق ردا منك، هل تعرف هذا الشخص؟

– لا أظن. ولا أهتم في الحقيقة.

– الغريب في الأمر هو كيف حصل هذا الشخص على بريدي الإلكتروني؟

– انس الأمر.

– لماذا قطعت صلتك بالعالم بهذا الشكل؟

– وما علاقتي بالعالم! أنا لا أعنيه وهو لا يعنيني.

– حسنا، ولكن هل أنت راض عن حياتك بهذا الشكل؟

– ومن منا راض عن حياته؟ نحن نعيش في مسلسل ردئ وكل شخص يقوم بالدور المرسوم له وأظن أن هذا المسلسل لن يفتقد غيابي.

– تتحدث أحيانا بألغاز.

– لا عليك، انسى الأمر ولنتحدث في موضوع آخر.

– هل تعلم ما يحدث هذه الأيام؟

– لا أعلم شيئا ولست مهتما صدقا بمعرفة أي شيء، كل ما يحدث في هذا البلد لا يعنيني، لقد عرفت منذ مدة إلى أين نحن ذاهبون، لقد عرفت نهاية الفيلم ولم أعد مهتما بمشاهدة الأحداث.

– كما تريد.

ظلا صامتين لفترة ثم بدءا يتحدثان في ذكريات قديمة إلى أن حان وقت

الانصراف، فانصرف كلٌّ منهما في طريقه.

* * *

05

قاد حازم سيارته شاردا، كانت موضوع الرسالة التي تلقاها طارق تشغل فكره وإن تظاهر بعكس ذلك أمام طارق.

تساءل من يكون هذا الأمريكي الذي يريد التواصل معه بهذا الإلحاح، وكيف توصل لمعرفة بريد طارق، طارق بالذات، الشخص الوحيد الذي يمكنه التواصل معه.

كان الأمر يثير فضوله ودهشته وهو الذي توقف عن الدهشة منذ فترة طويلة.

وصل مسكنه وهو لا يزال شاردا، غيّر ملابسه بعجلة ودلف إلى الشرفة المطلة على الفراغ وأخذ يراقب الليل بصمته وهدوئه.

تذكر شيئا بغتة، لقد كان يظن أن هناك شخصًا واحدًا بقي عليه أن يتحدث عنه في دفتره، ياسمينا، ولكنه نسي شخصا هاما، نسي أن يتحدث عن نفسه.

هو يعلم أن الحديث عن ياسمينا سيقوده حتما إلى التحدث عن نفسه، والعكس فالحديث عن نفسه سيقوده أيضا إلى التحدث عن ياسمينا.

لذا فقد عزم أمره ودلف إلى مكتبه وأحضر الدفتر وبدأ في الكتابة؛

كما توقعت لم أكتب عن ياسمينا بسهولة وظللت أهرب من الكتابة قدر استطاعتي، ولا أعرف حقا ما يمنعني عن ذلك، ربما يكون هذا هو مفتاح حل اللغز، لغزي الشخصي.

لا أعرف كيف أبدأ حكايتي مع ياسمينا، لقد فطنت منذ قليل أن الكتابة عن ياسمينا ستقودني إلى التحدث عن نفسي، وبالفعل لكي أتحدث عن ياسمينا لابد لي من التحدث عن نفسي أولا.

أشعر برهبة وخوف مبهم من التحدث عني أو عنها، بالرغم من أنني لم أبدأ الكتابة في هذا الدفتر إلا لأحكي قصتي وقصتي لن تكتمل وتتضح دون التحدث عنها.

أهم درس قد تعلمته في حياتي هو أن أفضل طريقة للقضاء على الخوف هو مواجهته، وأظن أنه قد حان الوقت لمواجهة نفسي.

عندما تعرفت على ياسمينا كنت شخصا آخر، كان تفكيري محدودا إلى حد بعيد، لم أكن متفتحا كما هو حالي الآن وإن كنت أحسبني متفتحا ولكني كمعظم الشباب من سني كانت رأسي ممتلئة بالهراء والأحكام الجاهزة التي تنهال علينا منذ ولادتنا.

وبالرغم من كوني متمردا بطبيعتي إلا أنني أخذت نصيبي من الهراء المجتمعي ومسلماته المليئة بعنصرية واضحة جدا وإن كنا لا نلحظها

ونتعايش معها بمنتهى الأريحية.

لا أعلم لما أذكر هذا هنا فلا علاقة لهـذا بقـصتي مـع ياسمينـا، ولكـني أرى أنه شيء هام أن أعرف كيف كنت وقتها.

ما أن رأيتها حتى شعرت بصدمة هزت كل كياني.

بالرغم مـن أنـي لا أحـب التواصـل مـع الأخـرين، ولكـن لـدي موهبـة حقيقيـة تـتلخص في أنـني عنـدما أري تعـبيرات وجــه أي شـخص أعـرف شخصيته تماما ولم يخب ظني أبدا في شخص أطلقت حكمي عليه منذ النظرة الأولى.

من النظرة الأولى إلى ياسمينا، عرفت أنها هـي، هـي مـن عجـزت عـن تخيلها حتى في خيالي، ها هي قد تجسدت وظهرت أمامي فجأة من العدم.

وما أن شعرت أن الصدفة السعيدة التي ألقت بها في طريقي قـد تنتهـي دون أن نتعارف، حتى نفضت خجلي الأزلي وتحدثت إليها وبدأ الحلم.

حقا لقد كان حلما، ما أن تحدثنا حتى اختفى العالم كله ولم يعد هناك سوانا.

وكعادة الأحلام، لابد لها من نهاية.

وجاءت النهاية على مرتين، المرة الأولى جـاءت بعـد عـدة أيـام عنـدما حان موعد سفرها إلى بلدها، والمرة الثانيـة بعـد تواصـل أربعـة أشـهر عـبر

الإنترنت اختفت فجأة حتى دون كلمة وداع.

إنني أرتجف الآن فقط لتذكري حالي بعد اختفائها

لا أستطيع المواصلة الآن.. ربما فيما بعد

* * *

06

قام حازم شاعرا بحزن واكتئاب شديد، أعد لنفسه كوبا من القهوة وجلس يرتشفه في الشرفة مدخنا بشراهة.

ظل على حاله لما يقرب من الساعة، ثم قرر أن يتم ما بدأه كي يتخلص من هذا الحمل الجاثم على صدره.

عاد إلى دفتره مجددا وبدأ في الكتابة؛

كانت مشاعري تتأرجح بين لومها ولوم نفسي ولوم الظروف، فكرت في الأمر كثيرا وكنت كل فترة أصل لرأي مختلف.

تارة أشعر بالغضب نحوها وأحمّلها المسئولية كاملة، وتارة أصب جام غضبي على نفسي وعلى ظروفي المتعسرة.

بالرغم من كل الحزن والاكتئاب الذي عانيته لفترة طويلة وربما حتى الآن ولكنني عجزت عن أن أكرهها، أعترف لقد حاولت جديا أن أكرهها وأنساها ولكنني عجزت تماما عن هذا الأمر وفي النهاية استسلمت، وأعترف الآن أنني لم أحب سواها ولن أحب سواها.

إن الحب بلا أمل أمر شاق حقا، ولكن الأمر ليس بيدي، أحاول جاهدا التعبير عن مشاعري ولكن هذه المشاعر تفقد روعتها كلها إذا تحولت إلى كلمات صماء.

شيء أخير، لقد أرسلت لي رسالة منذ ما يقرب من سبع سنوات أي بعد أن هجرتني بعام ونصف العام، جاءتني الرسالة وأنا عاجز تماما نتيجة حادث كنت قد تعرضت له وقتها فلم أجرؤ على قراءة الرسالة إلا بعد أن شفيت تماما بعد هذا التاريخ بشهرين كاملين.

كانت في الرسالة تخبرني أنها اكتشفت أن علاقتنا لا يمكن لها أن تستمر لذا قررت الابتعاد تاركة الأمر لتمحوه الأيام وأخبرتني أنها ستهاجر إلى كندا خلال أيام، ولا أدري حقا ماذا كانت ترمي من وراء هذه الرسالة فتجاهلتها تماما شاعرا بالحنق الشديد، ها هي تبتعد أكثر وأكثر وتجعل من الصعب مستحيلا.

ماذا عني الآن؟

حقا لا أعرف، لقد ضقت ذرعا بكل شيء، لم أعد أريد شيئا، لم أعد أطيق العيش في هذا البلد بعد أن كنت لا أتخيل الحياة خارجه.

هل فكرت في الهجرة؟

نعم فكرت كثيرا، وبدأت فعلا البحث في الأمر ولكني اكتشفت استحالة الأمر بالنسبة إلى شخصي التافه، فرصتي انعدمت تقريبا بعد أن

تخطيت الثلاثين من عمري خاصة أنني غير متزوج.

ها أنا قد بحت بكل ما في صدري ولا زلت لا أرى حلا لحياتي المزرية.

يبدو أنني سأقضي ما تبقى لي من عمر أعيش في برجي العاجي ووحدتي القاتلة وفي النهاية سيكتشفون جثتي بعد أن تتعفن وتنتشر رائحتها في المكان كله.

* * *

07

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد عندما ارتدى حازم ملابسه ونزل إلى سيارته.

كان يشعر باختناق رهيب ولم يستطع البقاء في شقته.

انطلق بسيارته في الشوارع الخالية تماما بسبب الوقت المبكر والذي صادف أيضا أن اليوم كان عطلة رسمية بالبلد بمناسبة عيد العمال.

أخذته سيارته إلى منطقة وسط البلد، فركن سيارته وخرج منها وأخذ يسير متنفسا نسيم الصباح العليل.

ظل يسير لأكثر من ساعتين دون أن يلاحظ وفجأة وجد نفسه أمام المقهى الذي التقى فيه ياسمينا للمرة الأولى.

تملكه حنين لم يستطع مقاومته فدلف إلى المقهى الذي لا يغلق أبوابه أبدا وجلس على نفس الطاولة التي كان يجلس عليها منذ ما يقرب من تسع

سنوات وأخذ ينظر إلى الطاولة التي كانت تجلس هي عليها وبدأ يتخيل كيف كانت تجلس وكيف نظرت إليه عندما لم يفهمها النادل وكيف وكيف..

* * *

شعر براحة كبيرة وظل جالسا على المقهى عدة ساعات يتخيلها ويستعيد المشهد كاملا عشرات المرات دون كلل أو ملل حتى شعر بالإرهاق فدفع حسابه وقام ليعود إلى حيث ترك سيارته.

احتاج إلى بعض الوقت حتى يتذكر أين ترك سيارته، لقد كان شاردا تماما، وأخيرا وجدها أمام إحدى فروع شركة من شركات المحمول فجاءته فكرة بغتة فدلف إليها.

اشتري جهاز USB ليستطيع الولوج إلى الإنترنت مجددا، وانطلق إلى مسكنه.

كانت الساعة تقترب من الثانية ظهرا عندما وصل إلى شقته.

كان يشعر بإرهاق ورغبة قوية في النوم ولكنه أراد أن يتفقد الرسالة الغريبة التي أرسلها له الشخص الأمريكي قبل أن ينام.

قام بتشغيل جهاز الكمبيوتر المحمول ووضع به الجهاز الذي اشتراه للتو وبعد دقائق استطاع الولوج إلى الإنترنت مجددا.

فتح بريده الإلكتروني وبدأ يبحث وسط مئات الرسائل الجديدة عن

الرسالة المطلوبة حتى وجد الرسالة بعنوان: بخصوص الحادث القديم.

قرأ الرسالة مرارا، ثم تساءل بينه وبين نفسه، ماذا يريد هذا الشخص وكيف حصل على بريدي الإلكتروني وكيف عرف اسمي من الأساس، أنا لم أعرف اسمه وهو لم يعرف اسمي، وما هو الشيء الذي يريد مشاركته معي وبدا له الأمر غريبا حقا ومثيرا للريبة ولكنه لم يكن لديه ما يخسره فكتب له ردا؛

" عزيزي آدم، حقا لقد أصابتني رسالتك بكثير من الدهشة.

وقبل أن أسالك عما تود مشاركته معي، أود أن أتساءل كيف عرفت اسمي وبريدي الإلكتروني وأيضا بريد صديقي ".

وأرسل الرسالة ثم أوى إلى فراشه ونام نوما عميقا.

الفصل التاسع

01

وصل آدم وليندا إلى بيتهما قبل غروب يوم السبت السابع والعشرين من إبريل، كانا مجهدين تماما، بدّلا ملابسهما سريعا وخلدا إلى النوم.

استيقظت ليندا مبكرا جدا، بينما ظل آدم نائما لفترة طويلة إلى أن أيقظته ليندا ليأكل طعام الإفطار.

قام متكاسلا وأفطر معها وأخبرته أنها ستذهب لزيارة أمها ولن تتأخر.

وما أن خرجت حتى تمدد مجددا على الفراش وظل يترنح بين النوم واليقظة حتى عادت ليندا فوجدته لا يزال نائما.

شعرت بالذعر وظنت أنه قد أصابه مكروه، فأيقظته ملتاعة ففتح عينيه الحمراوين وقال:

- أوه، لقد عدتِ، كم الساعة الآن؟

- تقترب من الثالثة بعد الظهر أيها الكسول، هيا انهض.

- حسنا.. حسنا، سأنهض.

قام مترنحا وأخذ دُشا أشعره بالانتعاش ثم نزل إلى الطابق السفلي

ليجد ليندا تعد طعام العشاء، سألته:

- أتريد أن تأكل شيئا ما حتى يجهز طعام العشاء.

- لا سأكتفي بالقهوة.

وصب لنفسه كوبا كبيرا من القهوة وجلس على الأريكة وبدأ يشرب القهوة ببطء.

جلست ليندا إلى جواره، واستندت إلى كتفه كما تحب أن تفعل دائما، فأحاطها بذراعه وقال:

- عزيزتي، أريد أن أتحدث معك في أمر هام.

- أظنني أعرف هذا الأمر، هل تريد أن تحدثني بشأن حازم وياسمينا؟

- لا، أريد أن أتحدث في أمر أخر أولا.

قالت بفضول:

- وما هو؟

- لم أعد أتحمل العيش في هذا المنزل بعد رحيل جودي وأظن أنك لا تتحملين ذلك أيضا.

تمتمت كاتمة دموعها: - بلى، هل تفكر في الانتقال إلى منزل آخر؟

- في الواقع أفكر في الانتقال إلى مدينة أخرى.

اعتدلت ونظرت إليه في دهشة:

- مدينة أخرى! أين؟

- الأمر مجرد فكرة أردت فقط أن أعرف رأيك في الموضوع.

- سأذهب معك إلى حيث تريد.

ضمها إليه وقبلها ثم قال:

- أما بشأن حازم وياسمينا فلازلت لا أعلم ما يمكننا فعله لهما.

- أفكر في أن أتحدث إلى ياسمينا لأطمئن عليها فقد كانت تبدو في حالة سيئة جدا.

- أمهليها حتى الغد ثم يمكنك أن تحدثيها إذا أردتِ.

- حسنا، سأتفقد الطعام، هل تريد أن تأكل الآن؟

- لا، لا يزال الوقت مبكرا، دعينا نخرج لنتمشى قليلا.

- فكرة جيدة.

ارتديا ملابسهما وخرجا.

تمشيا حتى الحديقة العامة وجلسا هناك حتى غابت الشمس ثم عادا وتناولا عشاءهما، وجلسا في الشرفة المطلة على الباحة الخلفية يتحدثان عن ذكرياتهما مع ابنتهما الراحلة، تارة يبكيان وتارة يضحكان حتى شعرا بالنعاس فصعدا إلى الفراش.

* * *

02

في اليوم التالي استيقظ آدم شاعرا بالنشاط، وقضي معظم اليوم في غرفة مكتبه.

كان يُجري الكثير من الأبحاث من أجل فكرة طرأت في رأسه، أخذت منه معظم اليوم.

دخلت زوجته وجلست إلى جواره تراقبه في صمت حتى انتهى من أبحاثه، فالتفت إليها وقال:

– حسنا، لقد أجريت بعض الأبحاث وأظنني عثرت على ضالتي.

نظرت إليه مستفهمة فأردف:

– ما رأيك في ولاية كالفورنيا، بالتحديد منطقة تورانس في الجنوب الغربي لمدينة لوس أنجلوس؟ إنها تطل على المحيط مباشرة.

– أعرف المكان، إنه مكان جميل. هل تريد الانتقال إلى هناك؟

– نعم، هناك بيت جميل يطل مباشرة على المحيط وسعره أقل قليلا من سعر بيتنا هذا.

– حسنا، الأمر يعود إليك.

– هناك شيء آخر.

– وما هو؟

– وجدت أثناء بحثي أوتيلا هناك قريبًا من المحيط معروضا للإيجار نظير مبلغ سنوي أظنه جيدا، أفكر في استئجاره.

– لماذا؟

– أظنه مشروعًا جيدًا.

– هل ستترك الكتابة؟

– لا أظن ذلك، ولكن دخلا إضافيا فكرة لا بأس بها، وهناك فكرة أخرى في رأسي ولكني أحتاج إلى بعض المعلومات أولا ثم سأخبرك بها.

– حسنا، لا بأس بذلك.

– هل تحدثت إلى ياسمينا؟

– لا ليس بعد، فكرت أن أتصل بها بعد الثامنة لتكون قد أنهت عملها وعادت إلى سكنها.

– فكرة جيدة، سأحاول الوصول إلى حازم حتى تحضّري طعام العشاء فأنا جائع.

– أحتاج إلى نصف الساعة ليكون الطعام جاهزا.

– جيد، سأنتهي قبل ذلك.

قامت لإعداد الطعام بينما بدأ هو رحلة البحث عن حازم مجددا.

كانت فكرة قد جاءته منذ قليل، وتعجب من نفسه كيف لم تأته هذه

الفكرة قبل ذلك.. الفيس بوك.

دخل إلى الموقع، وقام بالبحث عن حازم تارة باللغة العربية وتارة باللغة الإنجليزية دون جدوى.

قام بتجربة اسمه ثنائيًا ثم ثلاثيًا والاسم واللقب ولكن كل محاولاته باءت بالفشل.

شعر باليأس فجاءته فكرة أخري لماذا لا يبحث عن طارق صديق حازم، إنه يتذكر بريده الإلكتروني هو الآخر.

أعجبته الفكرة فأرسل له رسالة مقتضبة يخبره فيها باسمه وأنه يحاول الوصول إلى حازم دون جدوى وأنه قد أرسل له رسالة على بريده الإلكتروني منذ فترة ولكنه لم يتلق ردا ولأنه يريد حازم في أمر هام فهو يتمنى أن يستطيع طارق أن يمد له يد المساعدة في هذا الأمر.

وعندما أرسل الرسالة كان العشاء قد أصبح جاهزا.

* * *

03

بعد العشاء تسامرا قليلا حتى تخطت الساعة الثامنة.

أحضرت ليندا تليفونها واتصلت برقم ياسمينا، جاءها صوتها منهكا بشدة من الطرف الآخر فسألتها ليندا:

– هل كان العمل مرهقا اليوم يا عزيزتي؟

- لا، لم أذهب إلى العمل. في الواقع أنا في باريس الآن.

- باريس! وماذا تفعلين في باريس؟

- انتظر طائرتي المتجهة إلى بلغراد.

- أوه أنت عائدة إلى الوطن. كم الساعة عندك الآن لا بد أن الوقت متأخر جدا.

- في الواقع هو مبكر جدا، فالساعة تخطت الخامسة فجرا منذ قليل.

- أوه، تبدين منهكة تماما. حسنا لن أطيل عليك، سأكلمك لاحقا لأطمئن عليك.

وأغلقت الهاتف ونظرت إلى زوجها:

- هي في باريس.

- لقد سمعت كل شيء يا عزيزتي، معنى هذا أنها لم تحتمل البقاء في تيخوانا وسارعت إلى السفر.

- أشعر بشفقة حقيقية نحوها يا عزيزي وأتمنى لو نستطيع أن نساعدها.

- الأمر متوقف على حازم يا حبيبتي.. الأمر متوقف على حازم، ولكننا بحاجة إلى أن نجده أولا.

- ألم تستطع الوصول إليه؟

– لا، أخشى أن يكون قد أصابه مكروه. فالأوضاع عندهم في مصر ليست مستقرة منذ فترة.

لم تعرف ليندا بما تجيبه فصمتت فأضاف:

– لا يوجد ما نفعله قبل أن نجد حازم وبعدها الأمر يعتمد عليه اعتمادا كليا.

– أظن أن لديك خطة.

– نعم لدي خطة. ثم أردف بصوت خافت: – ولكن يجب أن نجده أولا.

اليوم التالي قضاه آدم في اتصالات مع المكاتب العقارية في أريزونا و تورانس، ومع حلول المساء كان قد أنهى كافة الأمور بشكل مبدئي.

تفقد بريده الإلكتروني أملا في أن يجد رسالة من طارق فلم يجد شيئا.

كانت ليندا قد اتصلت بياسمينا في الصباح بينما كان الوقت عصرا عندها في بلغراد وعرفت منها أنها وصلت للتو إلى بيت أمها فلم تطل عليها وتركتها لتستريح بعد هذه الرحلة الشاقة.

قبل أن يناما أخبرت زوجها عن هذه المكالمة لأنه كان مشغولا طوال اليوم ولم تستطع التحدث إليه.

سمعها شاردا، ثم خلد إلى النوم.

* * *

04

في الصباح التالي استيقظ آدم مبكرا، ترك ليندا نائمة وذهب إلى غرفة مكتبه.

قام بتشغيل جهاز الكمبيوتر وفتح بريده الإلكتروني وهو يتثائب وفجأة انتفض وركز بصره ليتأكد أنه لا يهذي، فأمامه كانت الرسالة التي ينتظرها بشغف، بل كانت أفضل.

فالرسالة لم تكن من طارق كما كان يتوقع بل من حازم نفسه.

أخيرا عثر عليه.

قرأ الرسالة مرارا شاعرا بسعادة حقيقية، وكتب ردا في الحال:

" من آدم إلى حازم.

أرى أن تساؤلاتك طبيعية، ولكن التفسير الذي أملكه لن يقنعك بسهولة ولكني سأقدمه على أية حال.

بعد الحادث الذي تعرضنا له سويا، فقدت ذاكرتي تماما ولم أستعدها إلا منذ وقت قريب.

منذ فترة بدأت أحلام غريبة تغزو نومي، الغريب في هذه الأحلام أنني كنت فيها أنت لا أنا، كنت حازم.

بدأت هذه الأحلام تسيطر عليّ بصورة كبيرة حتى وصل بي الحال في يوم من الأيام أن ظننت أنني حازم لا آدم.

نعم، لم أعد أذكر شيئا عن حياتي ورأسي ممتلئ بذكريات حياتك أنت منذ ولادتك حتى قبيل الحادث بساعات معدودة.

أستطيع أن أتخيل وجهك الآن وربما تنعتني بأسوأ الألفاظ ظنا أنني أكذب، ولكني يمكنني إثبات ذلك بسهولة.

صحيح أنني قد استعدت ذاكرتي بشكل كامل، ولكني لا أزال أحمل ذكرياتك كاملة، لذا حتى تتأكد أنني أقول الصدق يمكنك أن تسألني عن أي ذكرى خاصة بك لا يعلمها أحد سواك بشرط أن تكون هذه الذكرى سابقة للحادث لأن ذكرياتي تتوقف هناك.

تحياتي ".

وأرسل الرسالة شاعرا بالانتعاش.

نظر في ساعته فوجدها تشير إلى التاسعة صباحا، هذا يعني أن الساعة في القاهرة الآن السادسة مساءً، إنه توقيت جيد وظن أنه سيتلقى ردا سريعا.

خرج من المكتب ليجد ليندا قادمة نحوه فصاح بها:

– لقد وجدته، وجدت حازم.

ثم قص عليها كل ما يتعلق برسالة حازم ورده عليها، وأردف:

– أظننا ما أن ننتهي من طعام الإفطار حتى نجد ردا منه.

تناولا إفطارهما، وأعدت ليندا القهوة ودخلت بها على آدم الذي لم يستطع الانتظار ودخل يتفقد بريده.

دخلت عليه فرأته واجما فقالت:

– لم يرسل شيئا بعد؟

تمتم بخفوت: – لا ليس بعد.

– اصبر يا حبيبي، ربما يكون في الخارج أو مشغولا في شيء ما.

– نعم ربما.

وقضى وقته في السير في البيت مثل المجنون، وكلما مرت خمس دقائق دلف إلى المكتب لتفقد البريد، ولكن لا شئ.

شعرت ليندا بالذعر، فصاحت به:

– اهدأ الآن. ستصيبني بالجنون.

جلس على الأريكة واجما وقال:

– أخشى أنني ربما لم أثر فضوله، ربما لم يقرأ رسالتي حتى النهاية، ربما قرأها ولم يهتم.

وظل شاردا لفترة طويلة.

وبعد أن تخطت الساعة الثالثة عصرا فقد الأمل في أن يتلقى ردا، على الأقل في هذا اليوم فالساعة الآن في القاهرة تجاوزت الثانية عشرة صباحا،

فقام وغيّر ملابسه وأخبر ليندا أنه سيذهب للتمشية قليلا حتى يستطيع أن يفكر بشكل أفضل.

وخرج

* * *

05

عندما عاد آدم بعد ساعتين وجد ليندا تنتظره مبتسمة، وقالت:

– لدي خبر جيد ولكن يجب أن تأكل شيئا أولا.

– هل جاء رد حازم؟

– نعم منذ قليل، ولكنك لن ترى رده قبل أن تأكل.

وافق على مضض وأكل سريعا وهرع إلى غرفة مكتبه.

كانت الرسالة مقتضبة جدا؛

" من حازم إلى آدم

بالفعل أعتقد أن كل ما قلته في رسالتك الأخيرة مجرد هراء، ولكني سأسير معك حتى النهاية فلا شيء لدي لأخسره.

السؤال هو ما كان شعوري عندما رسبت للمرة الأولى في الكلية؟ "

كان السؤال سهلا على آدم فأجاب سريعا؛

" حسنا، لقد شعرت باللامبالاة في اللحظة الأولى، فقد كان هذا ما تتوقعه ولكن بعد ذلك أصابك حزن وكآبة أثارا دهشتك.

هل صدقت الآن؟ "

وجاءه رد حازم سريعا؛

" من حازم إلى آدم

ليس بعد، أظن السؤال كان سهلا.

كيف كان شعوري وأنا ذاهب إلى المدرسة في أول يوم دراسي في الصف الثالث الإعدادي؟ "

" من آدم إلى حازم

كنتَ حزينا جدا وخائفا بشدة، كانت والدتك قد توفيت منذ أيام، وكنت تشعر بخوف مبهم لم تستطع تفسيره وعندما سألك أحد المدرسين عما بك؛ هرعت إلى الحمام وظللت تبكي لمدة طويلة ".

هذه المرة لم يأته الرد سريعا.

كانت ليندا واقفة تراقبه منذ برهة دون أن ينتبه إليها فالتفت إليها وقال:

– لقد بدأ يصدق.

حاولت أن تقول شيئا ما ولكنه قاطعها قائلا:

– لقد جاء رده.

" من حازم إلى آدم

حسنا، لقد انتصرت، لا أحد يعرف هذا الأمر سواي بالفعل، إنه حقا شيء عجيب.

والآن ماذا تريد مني؟ "

" من آدم إلى حازم

أريد صداقتك ليس إلا، يمكنك أن تتخيل حالي كشخص يحمل مشاعرك إلى جوار مشاعره، أظنني أعرفك كما تعرف أنت نفسك، ويشرفني أن نصبح صديقين.

في البداية أريدك أن تقص علي ما حدث لك منذ الحادث وحتى الآن وسأخبرك بدوري بقصتي كاملة، بل سأبدأ أنا بقصتي.. "

وحكى له قصته كاملة من بدايتها حتى وفاة ابنته متجاهلا ذكر لقائه الأخير مع ياسمينا، ثم أرسل الرسالة وقام وقد شعر بالتعب والكآبة عندما كتب عن ابنته جودي، فأمسك بيد زوجته وقادها إلى الخارج وجلسا متجاورين على الأريكة وأخبرها بتفاصيل الرسائل كلها.

سألته ليندا:

– هل يمكنك الآن أن تطلعني على خطتك كاملة؟

أخبرها بخطته بالتفصيل، وأنهى حديثه قائلا:

– ولكن كما ترين الأمر يتوقف على قصة حازم، بعدها يمكننا أن

نباشر العمل في الخطة أو تنتهي القصة تماما.

- حسنا، أعترف أنها خطة جيدة حقا، أنت ذكي ومرهف الإحساس كعهدي بك، هيا نأكل ثم نذهب لنرى هل أرسل حازم قصته أم لا.

* * *

06

عندما قرأ حازم قصة آدم شعر بالشفقة عليه لفقدانه ابنته الوحيدة بعد صراع طويل مع مرض السرطان.

تردد قليلا في إرسال رد ولكنه ما لبث أن كتب ردا طويلا.

بدأ بتعزيته في وفاة ابنته، ثم بدأ يحكي قصته بصدق وبتفاصيل دقيقة أثارت دهشته، ولكنه شعر أن آدم لم يعد شخصا غريبا عنه، فهو بالفعل يعرف عنه الكثير، أكثر مما يعرف أي شخص آخر.

استفاض في شرح مشاعره في الفترة الأخيرة، وحالته النفسية وانعزاله عن الجميع.

أخبره عن تركه العمل منذ فترة، واستفاض في شرح مشاعره في الفترة الأخيرة، وحالته النفسية وانعزاله عن الجميع.

قرأ آدم الرسالة بمزيج من الأسى والسعادة، كان حزينا من أجل الحالة السيئة التي يعيشها حازم وكان سعيدا لأن هذا يعني أن خطته أصبحت الآن، والآن فقط، قابلة للتنفيذ..

انتقى كلماته بعناية وأرسل رسالته؛

" من آدم إلى حازم

أشعر بحزن حقيقي للحالة التي تعيشها حاليا، ربما نكون حاليا نعيش حالة متشابهة إلى حد ما، أنا أيضا أريد ترك كل شيء خلفي وبدء حياة جديدة في مكان جديد، ولقد عزمت أمري بالفعل.

سأبيع منزلي الذي أعيش فيه وسأنتقل إلى ولاية أخرى، سأنتقل إلى كاليفورنيا وأفكر في إيجار موتيلا صغيرا في منطقة تورانس بالقرب من المحيط الهادئ.

سأدخل في الموضوع مباشرة، أريدك أن تشاركني في هذا المشروع، وأعتقد أنها فرصة جيدة للخروج مما أنت فيه الآن.

عرضي هو كالتالي:

سأرسل لك دعوة زيارة رسمية عن طريق السفارة، وسأتحدث إلى بعض الأصدقاء هناك ليسهلوا لك الحصول على التأشيرة، وسأرسل لك أيضا تذكرة الطيران وستأتي للزيارة وترى الوضع بنفسك، والمبلغ الذي تدخره يكفينا للبداية.

أثناء زيارتك يمكنك اتخاذ قرارك بالمضي قدما في هذا المشروع أو بالعودة مجددا إلى القاهرة.

فكر بهدوء وأبلغني بجوابك في أقرب وقت ممكن حتى أستطيع تدبر الأمر من جانبي

صديقك.. آدم ".

وأرسل الرسالة وعاد إلى ليندا، وقص عليها ما حدث وبدأوا في مناقشة خطتهما بدقة ودرسا كافة التفاصيل وقلبا الأمور جيدا وعرف كلٌّ منهما دوره في الخطة ثم ذهبا إلى الفراش على أن يبدءوا التنفيذ من الغد.

* * *

07

في يوم السبت الأول من يونيو، في تمام السابعة صباحا هبطت طائرة أير فرانس القادمة من باريس بمطار لوس أنجلوس.

غادرها الركاب مرهقين بعد هذه الرحلة الطويلة، وأنهوا إجراءات الدخول المعقدة ثم وقفوا في انتظار أمتعتهم.

وقف حازم بين الركاب الآخرين ينتظر حقيبته، لم يكن يصدق بعد أنه وافق في النهاية على اقتراح آدم.

لقد ظل مترددا لفترة طويلة ولكن آدم ظل يحاصره حتى استطاع إقناعه، وها هو ذا يخطو خطواته الأولى في أمريكا.

كان مرهقا تماما ويفتح عينيه بصعوبة بالغة وبالكاد استطاع انتشال حقيبته من وسط حقائب بقية الركاب وسار إلى الخارج.

كان آدم وليندا في انتظاره وما أن لاح من بعيد حتى لمحه آدم فأشار إليه وأخبر زوجته:

– هذا هو.

نظرت ليندا إلى حيث يشير زوجها وقالت له مداعبة:

– يبدو وسيما.

وكزها آدم وكزة خفيفة، وقال:

– هيا لنستقبله.

كان حازم قد اقترب وأخذ ينظر حوله باحثا عنهما، فلوح له آدم بذراعه:

– هاي. نحن هنا.

تصافحا، وعرّفه آدم بزوجته وانطلقا إلى الفندق.

أخذ حازم يشاهد المدينة طوال الرحلة التي استمرت ما يقرب من الساعة حتى وصلوا إلى الفندق في منطقة تورانس البعيدة نسبيا عن المطار.

أخذ عامل حمل الأمتعة حقيبة حازم بينما ساروا خلفه حتى مكتب الاستقبال ليحصلوا على مفتاح غرفته.

أنهوا الإجراءات سريعا، وقال آدم:

– بالتأكيد أنت متعب جدا بعد هذه الرحلة الطويلة، سنتركك

لتستريح على أن نلتقي هنا في تمام الساعة الخامسة.

صعد حازم إلى غرفته وخلد إلى النوم فورا.

استيقظ بعد الرابعة مساءً، أخذ دُشا سريعا وارتدي ملابسه وفي تمام الخامسة كان في بهو الفندق حيث وجد آدم وليندا في انتظاره.

جلسوا جميعا في الكافيتريا الملحقة بالفندق وبدأ آدم يعطيه كافة التفاصيل الخاصة بمشروعه وهم يتناولون القهوة.

بعدها أخذه في جولة بالسيارة ليلقي نظرة على الموتيل وعلى المكان بصفة عامة.

كان المكان جميلا بالفعل، وإن لم يستطع حازم التوصل إلى قرار فوري، وفضّل أن يؤجل الأمر لبعض الوقت.

كانت الحياة في أمريكا تبدو له مخيفة، وكان يشعر أن عزلته ربما تزداد في هذا المكان.

بعد انتهاء الجولة، كانت الشمس قد قاربت على المغيب فقال آدم:

– هيا لنذهب لتناول الطعام، لا بد أنك تتضور جوعا.

وصلا إلى مطعم يقع في الطابق الأخير من مبني يطل على المحيط مباشرة، وأثناء صعودهم أخبره آدم مبتسما:

– لقد أعددت لك مفاجأة يا صديقي.. ياسمينا هنا، هي لا تزال تحبك

كما تفعل أنت وربما أكثر.

فغر حازم فمه ولم يستطع النطق، دخلا إلى المطعم فأشار آدم إلى الطاولة التي تجلس عليها وقال:

– هيا اذهب. هي أيضا لا تعرف أنك هنا. هيا اذهب ولا تقف هكذا مثل الأبله.

التفت حازم إليها، إنها هي بالفعل.

جالسة تتأمل الغروب الوشيك.

شعر بأن قلبه يكاد يثب من موضعه ولم تقو قدماه على التحرك.

استند إلى الحائط المجاور له ووضع يده على قلبه ليهدئ ولو قليلا من سرعة نبضاته.

أخذ ينظر إليها لمدة دقيقة تقريبا ولا يزال قلبه ينبض كقطار سريع وشعر أن قواه تخور ولكنه تمالك نفسه وتقدم نحوها بينما وقف آدم وليندا يراقباه في صمت.

الخاتمة

جلست ياسمينا في المطعم الذي وصفته لها ليندا بمنطقة تورانس في الجنوب الغربي لمدينة لوس أنجلوس، لم تكن تدري لما هذا اللقاء ولماذا في هذا المكان على وجه الخصوص، ولكن ليندا ألحت عليها بصورة كبيرة ولفترة طويلة إلى أن شعرت بالإحراج ولم تستطع الرفض خاصة أن ليندا تعرف أنها لا زالت في أجازة وليس هناك ما يشغلها.

لذا بدلا من التوجه إلى كندا كما كانت قد قررت، عرجت إلى لوس أنجلوس لتقضي عدة أيام مع آدم وليندا.

أخذت تتأمل المنظر الخلاب للمحيط وقرص الشمس يكاد أن يختفي داخله، وفجأة أتاها صوت من خلفها:

– إنه منظر رائع حقا.

سرت قشعريرة في جسدها مثل تيار كهربي قوي ولم تجرؤ على الالتفات فهي تعرف جيدا من صاحب هذا الصوت، ولكن هذا مستحيل!

– حسنا، على أية حال أنت مدينة لي بكوب من القهوة ولا أمانع إن طلبته لي الآن.

هنا لم تعد تحتمل، ووقفت كمن لدغها عقرب والتفتت في سرعة لتجد

نفسها تقف وجها لوجه أمام حازم.

كان كلاهما قد تخيل مثل هذا الموقف مئات المرات من قبل ومع ذلك تجمدا في مكانهما كتمثالين من الشمع، وظل كل منهما يحدق في وجه الآخر بنظرات تحمل مشاعر قد تم كبتها سنوات طويلة، وأخيرا تعانقا عناقا تمنى كل منهما أن يستمر إلى الأبد.

وفي النهاية جلسا متجاورين وقد أحاط كل منهما الآخر بذراعه وكأنه يمنعه من الهرب، وتبادلا النظرات مرة أخرى ولم يحتاجا لتبادل الكلمات فقد قالت عيونهما كل شيء.

لن نفترق مجددا.

وابتسما في راحة.

كان آدم يقف بجوار ليندا يراقبانهما من بعيد، والتفت آدم إلى ليندا وقال:

– هل لاحظت أنهما لم يتحدثا مطلقا؟

نظرت إليهما وكلٌّ منهما يحيط الآخر بذراعيه، وياسمينا تستند على كتفه بينما مال هو برأسه واستند بها على رأسها وابتسمت وهي تقول:

– أظنهما لا يحتاجان إلى الكلام.

– حسنا هيا نذهب إليهما. يكفيهما ما حصلا عليه من وقت.

قالها وجذب ليندا من يدها وتوجها إلى طاولتهما وتنحنح آدم قائلا:

– عفوا، ولكني أظنكما تجلسان على طاولتنا.

لم يلتفتا إليه وقال حازم:

– اجلس يا آدم، وإن كنت لا أمانع إن انصرفت.

– أووه. أنت شخص جاحد يا صديقي أظنكم تقولون في مصر على هذه الحالة " من لقي أحبابه، نسي أصحابه ".

– تماما.

– ولكني لن أنصرف على أية حال.

وجلس هو وليندا، فالتفتا إليهما، وقال حازم:

– عذرا ليندا، كنت أمزح مع زوجك.

– لا عليك، أعرف هذا.

– حسنا أيها العاشق، أرى أنك لا تزال تستطيع الكلام، لقد ظننت أنك أصبت بالخرس منذ أن رأيت ياسمينا.

ولم يمهله الوقت ليجيب وأردف مخاطبا ياسمينا:

– انظري، لقد اتفقت مع حازم على أن نقوم باستئجار موتيلا صغيرا هنا ونعيش كلنا هنا. ما رأيك في هذا؟

التفتت ياسمينا إلى حازم ونظرت إلى عينيه وقالت:

- المهم أن نبقى معا.

ثم نظرت إلى آدم وليندا وقالت:

- شكرا لكما على كل شيء.

ثم عادا إلى وضعهما الأول، وكأنه لم يعد سواهما بهذا العالم.

نظر إليهما آدم وتمتم:

- أخيرا قد حصلت على نهاية لروايتي القادمة.

أمسكت ليندا يدي زوجها ومالت نحوه وقالت له هامسة:

- أنا حامل يا حبيبي.

قبّل يديها وابتسم بثقة وقال:

- أعرف..

أحاطها بذراعه وأخذا يراقبان غروب الشمس وهما يفكران في الحياة الجديدة التي تنتظرهم جميعا.

Apr. 15 11





سار في الشوارع التي جمعتهما سويا يلتمس ذكراها..
هنا تمشيا متشابكي الأيدي..
هنا جلسا يتبادلان الحديث ويضحكان..
هنا اختلسا قبلة كجائع يختلس لقمة..
كان حضورها طاغيا في هذه الأماكن، وكم كان يشتهي حضورها.
ها هي اصبحت ذكرى ولكنها ذكرى جميلة يرفض أن يفقدها..
كان يقتنص ذكراها في كل شيء ويحبسها داخل مكان خاص داخل ثنايا عقله، لم يكن يريد أن يفقد اي ذكرى من هذا الحلم الذي لم يستمر طويلاً.
شعر بالتعب فجلس على إحدى المقاهي المنتشرة في المكان، ومع رشفات القهوة المتتالية أخذ يفكر، وماذا بعد ؟



